

العدد (١٢) ١٥/١٠/٢٠٠٣



- العجز الديمقراطي: هل تدوم الإستثنائية السعودية؟
- قبلة الموت الروسيّة وإرث الحجاز المحتلّ
- آل الشيبي: سدنة الكعبة المعظمة
- إزدواجية الخطاب الرسمي السعودي
- (الطائفية) تضعف السياسة الخارجية السعودية

طوفان المشاكل قد يغرق البلاد

مملكة على الحافة

حقوق المرأة السعودية

بين محرّمات السياسة ومحرّمات الأعراف

في هذا العدد

الدولة الطاردة

حين نضطر الى تعريف الاشياء بأضدادها تصبح الدولة الطاردة نقيضاً للدولة الحاشدة، أي تلك التي تملك من أدوات تعبئة وحشد الجمهور بما يمنحها قدرة على تحقيق أغراضها، ومشروعيتها، وسياساتها. إن القدرة على حشد الجمهور ليست متوقفة على شكل النظام السياسي السائد في هذا البلد أو ذاك، ففي أعتى الانظمة الديكتاتورية هناك آليات حشد قد تكون قهرية وأحياناً طوعية، نظراً الى سطوة الشحن الايديولوجي الكثيف، والثقافة الحزبية، وأيضاً القنوات الحكومية النشطة المكلّفة بممارسة دور حشدوي. بيد أن الفارق الجوهري بين الأنظمة الديكتاتورية والديمقراطية يكمن في أن الأولى تستطيع إخراج الجمهور الى الشوارع تأييداً للزعيم، وتسوق العناصر الى الدخول في حروب الدولة ضد خصومها في الداخل والخارج، ولذلك تتجسد قدرة الدولة على الحشد في خروج الاعداد الكثيفة من الناس في المظاهرات، ولكن الحال بالنسبة للدول الديمقراطية مختلف حيث أن الحشد يعكس نفسه في الحملات الانتخابية وفي برامج المتنافسين على الرئاسة، فيما تلعب الديمقراطية والمؤسسات التعليمية والاعلامية والثقافية دوراً كبيراً في الحشد.

بالنسبة للسعودية فإن قصة الحشد مختلفة، فقبل نشأتها بقليل كانت جهود الحشد لدى القائد السياسي مكرّسة لبناء مقاتلين مسلّحين بروئ دينية خاصة، ذات صلة وثيقة بمشروع الدولة، أي بغزو المناطق واحتلالها وربطها بمركز السلطة، ولذلك كان الضخ الايديولوجي منصبّاً على حشد الاتباع لانجاز مهمة إنشاء الدولة، وإضفاء المشروعية الدينية عليها. وبعد نشأة الدولة لم يتم استبدال خطاب الحشد القديم بل أبقي على فورانيته كما هو (إقليمياً ومذهبياً)، هكذا كان في التعليم، والاعلام، والسياسة والدين، ولذلك عجز هذا الخطاب عن أن يصنع أنصاراً (أو موالين وهو الوصف المفضّل لدى العائلة المالكة)، لأنه يفتقر الى متطلبات الحشد، كمن يطالب الضحايا بالاصطفاف خلف الجلاد. فالثقافة التي أريد إشاعتها منذ بداية نشأة الدولة كانت نابذة وطاردة ومقسّمه للمجتمع، وبهذا فإن الدولة نفسها قررت ضمنياً المساحة الجغرافية والاجتماعية التي يجب لهذه الثقافة أن تمارس فيها دور الحشد.

ولأنها نموذج بارز لدولة الفرص الضائعة فإن التحديث الاقتصادي، وما وفره من فرص تاريخية لبناء خطاب وطني يسمو على الثقافات الفرعية، أسيء استغلاله بدرجة مثيرة، وبدلاً من أن يزوّد الدولة بطاقة حشد مختلفة وفاعلة، أصبح التحديث عنصراً طارداً جديداً، من خلال التوزيع غير المتكافيء للثروة والعمران والخدمات والوظائف. لقد بات معروفاً بأن إنجازات الدولة في المجالات المتصلة برفاهية الرعايا كفيلة بمزوالة مهمة حشد الانصار، فهي ـ الانجازات تعكس شعار الدولة لحظة تجسيده، أي تحويل الأقوال الى أفعال، وبالتالي فإن الفعل يكون في تأثيره وقوته الحشدية أقوى من القول، وخصوصاً تلك الاقوال المتصلة بوعود مؤجّلة وممجوجة، كما هو الحال في موضوع الاصلاح السياسي هذه الأيام.

إن إعادة حشد المجتمع تبدو لكثيرين وكأنها مجرد حلم الآن، وفي كل الأحوال لا يمكن أن ترد في الوقت نفسه الى إبتكار حلول أيديولوجية إذ لم تعد المشكلة مقتصرة على بعد واحد لأزمة الدولة، كيف وأن هذا النوع من الحلول قد تسبب فيما مضى في فصل الغالبية العظمى من السكان عنها. فالحشد الشعبي القائم على أساس أيديولوجية دينية وحتى سياسية يتعارض الآن مع مسار الحل الذي تسلكه هذه الاغلبية، التي وجدت في ايديولوجية الدولة عائقاً أمام ازالة إنسداد الأفق السياسي للبلاد.

وحتى الخطاب الوطني الذي تم تصنيعه مع بداية إنكسار الدولة أصبح باهتاً وبلا مفعول حشدي، إذ بات ينظر اليه بوصفه محاولة مفتعلة من قبل الطبقة الحاكمة من أجل ترميم ما تهدم في بنية الدولة. فالقوى السياسية والاجتماعية قد دخلت حلبة المنافسة مع الدولة على حشد الشارع، المثخن بجراح إقترافات الدولة وبالتالي فإن التعويل على خطاب وطني لحشد الاتباع خلف الدولة أصبح من نصيب تلك القوى التي سيطرت ـ جزئياً على الاقل ـ على أدوات الحشد التي بيد الدولة وتستعملها من أجل إيصال بلاغها السياسي لقطاع واسع من الجمهور.

تمسّك الدولة بخطاب طارد، وضعف عوامل الجذب والحشد يجعلها دولة طاردة

لقد مارست الدولة السعودية دوراً طارداً طيلة تاريخها المعاصر، حتى طال هذا الدور القاعدة الشعبية في مركز السلطة، فقد تآكلت هذه القاعدة على نحو سريع خلال أقل من عشرين عاماً، وأن مصادر تهديد إستقرار وبقاء السلطة باتت قريبة منها ومن المصنّفين في قائمة الموالين، الذين كانوا يخضعون تحت تأثير ثقافة حشد متواصلة.

فهناك اليوم ما يشبه المعادلة العكسية، فكلما ازداد التلاحم أو التنافس الداخلي بين الطبقة الحاكمة، كلما ازدادت القطيعة والتنافر مع المجتمع، وكأن تأثيرات هذا الحشد باتت محصورة في حدود العائلة المالكة نفسها التي تشعر بالعجز الآن أكثر من أي وقت مضى عن الحفاظ على مركز السلطة. فالتمزق المتواصل في نسيج الدولة يطيح بأدوات الحشد التقليدية كما الحال بأدوات مفتلعة مصنّعة لأجل دفع الأجل المحتوم، إذ تصبح خيارات الحشد مفتوحة أمام الجميع.

إن الاعتقاد بالتفوق الساحق السياسي والايديولوجي للدولة قد تبدد في فترة قياسية، وتبعاً له تبددت آليات الحشد والتعبئة. فالذين طردتهم الدولة في فترة تفوقها ليسوا على إستعداد للعودة اليها الآن وهي في مرحلة الهرم والشيخوخة، وليس هناك ما يمكن وصفه بـ (إغراءات الحشد) كيما تجتذب الدولة أنصاراً لها، فهي تطرد الآن أكثر مما تحشد، ليس لأن عوامل الطرد في الوقت الراهن تفوق عوامل الحشد فحسب، بل لأن الطبقة الحاكمة مصرّة على التمسك بخطاب طارد، حتى في زمن اضمحلال تأثيرات أية خطابات حشدية أخرى.

رؤية

نموذج العجز الديمقراطي

هل تدوم الاستثنائية السعودية؟

السكان المحليون يطلقون على ما يجري هذه الأيام بأنه إنفتاح سعودي أو ربيع سعودي، إنه نوع من الشفافية (أو الجلاسنوست)، وهي فترة الانفتاح السياسي الذي أدى الى نهاية عقود من الرقابة والقمع في الاتحاد السوفيتي في نهاية الثمانينات. فهناك شعور عام بأن ثمة شيئاً تاريخياً سيقع فالناس في البلد يتحدثون بصراحة وعلنية عن المشاكل الداخلية، إحساساً منهم بأن الدولة لم تعد تحتفظ برصيد كبير من المصداقية والهيبة، ولذلك فما كان يدور في الخفاء والمجالس المغلقة قد تسرب الى الشارع والصحافة وأصبح متداولاً بين قطاع كبير من الناس. فلا الدولة قادرة على إتخاذ القرار الصحيح، ولا هي في وضع يسمح لها بإستعمال البطش لكسر الموجات النقدية المتصاعدة من كافة ارجاء البلاد. فقد وصلت الدولة الى مرحلة انعدام الوزن، وليس بإمكانها احتواء الاوضاع المتفجّرة بصورة دراماتيكية وغير مسبوقة. فثمة مفاجآت غير سارة تنتظر الجميع، في ظل غياب دولة قادرة على صناعة الحل، إن لم تكن قد تحوّلت فعلياً الى مشكلة حقيقية.

علامات التحوّل في الوضع الداخلي عديدة، ولعل أوضح تجسيد لها هو تصدع هيبة الدولة كما تعكسه جرأة السكان على تناول أكثر الموضوعات المحرّمة في السياسة الداخلية، فالحرية التي عجزت الدولة عن توفيرها لرعاياها في أزمنة سابقة أصبحت منتزعة إنتزاعاً دون انتظار صدور أوامر سامية لإقرارها أو البت فيها. وأن التغيير الذي طال انتظاره من قبل القيادة السياسية أصبح السكان أنفسهم منخرطين في وضع أساساتها الأولية وستؤدي بلا شك الى إرساء واقع جديد في البلاد، فالتدافع نحو التغيير لم يعد حكراً على فئة بعينها، بل صار السكان أنفسهم صانعين أساسيين له.

مشهد التحول خارج حدودنا

إن هذا الواقع المنتظر لا يقتصر على مساهمات محلية فحسب، فالعالم من حول المملكة المضطربة يتغير بإيقاع سريع مؤكداً على أن الاصلاح قدر المنطقة بل والعالم بأسرة. فكثير من بلدان المنطقة بما فيها عمان قد سلكت طريق الاصلاح السياسي، ففي الثاني من أكتوبر بدأت الانتخابات العمانية لترشيخ أعضاء مجلس الشورى، لتنضم الى البحرين والكويت وقطر التي دخلت عالم الانتخابات.

فالعمانيون يحثون الخطى الآن نحو مشروع المشاركة السياسية، وقد أصبح السلطان قابوس، الذي ساهم في ترسيخ الوحدة الوطنية ونقل عمان الى دولة مزدهرة في الثلاثة عقود الماضية، أصبح من الحكام الأكثر شعبية في المنطقة. فقد بدأ اصلاحات سياسية حيث لم يكن هناك تقليد كهذا قبل عقد، بل وقبل بزمن طويل الضغوط الأميركية من أجل الاصلاح في المنطقة بعد الحادي عشر من سبتمبر.

في السابق، كانت هناك فئة محدودة من الناس تستطيع التصويت من أجل ٨٣ عضواً في مجلس الشورى، وبالتالي فإن ربع إجمالي السكان فقط ممن هم فوق سن الحادي والعشرين عاماً يمكنهم المشاركة في الانتخابات، وأن المصوتين مختارون من بين الزعامات القبلية، والمفكرين، ورجال الاعمال. ولكن في الوقت الحاضر فإن الانتخابات مفتوحة أمام الكل، بما في ذلك النساء. ورغم أن المجلس له سلطات استشارية محدودة وأنه لا يمتلك صوتاً في الشؤون الأمنية والخارجية، الا أن هذا التطور تجاه حق الاقتراح والتصويت وفق المعايير العالمية وتطويراً للنظام التشاوري الذي لقي ترحيباً واسعاً في البلاد.

وفي أكتوبر ـ ٢٠٠٢ ـ بدأ البحرينيون بالادلاء بأصواتهم لأول مرة منذ ثلاثين عاماً لانتخاب برلمان. وكان لأول مرة ايضاً أن تتسنم امرأة منصباً رسمياً على المستوى الوطني.. كما أعلنت قطر قبل ذلك بأنها ستبدأ بوضع دستور جديد إستعداداً لانتخابات برلمانية قادمة. وفي اليمن لم يتوقف التطوير عند نظام حزبي تعددي وبرلمان منتخب ولكن تجاوزه الى انتخاب محافظي البلديات ومنذ عام ١٩٩٩ بدأت الانتخابات الرئاسية. وفي أعقاب حرب الخليج الثانية أعادت الكويت إحياء مجلس الامة الذي يتم انتخاب أعضاؤه بصورة مباشرة، وقد أنهت في الصيف المنصرم انتخابات الدورة الجديدة لمجلس الأمة.

فالديمقراطية التي تثير قلقاً من نوعٍ ما لدى النخبة الحاكمة في السعودية مثلت الوصفة الأكثر نجاعة لأنظمة المنطقة، فقد منحتهم التغييرات الديمقراطية رصيداً هائلاً من المصداقية والشعبية وعززت من أسس علاقاتهم مع الرعايا المحليين. فالديمقراطية إذن لم تسقط أنظمة ولم تأكل من سلطة هذه النخب الحاكمة، بل إن التعويضات التي حصلت عليها عن طريق الديمقراطية في هيبتها ومصداقيتها ومشروعيتها واستقرارها تفوق ما تعتقد بأنها تنازلات كبيرة في الملك والسلطة.

إذن لماذا تبدأ الملكيات الصغيرة في الخليج بما في ذلك عمان والكويت وقطر والبحرين في السنوات الأخيرة بالتحرك الثابت نحو مبادرات سياسية ملحوظة، فيما تبقى السعودية استثناءً مثيراً للحيرة؟. فهناك ثمة مفارقة ملحوظة في الوقت الراهن: فبالرغم من كونها الدولة الأكثر محافظة الا أنها الآن الأشد نزوعاً نحو التغيير. فالمراقبون المحليون والدوليون يترقبون قراراً تاريخياً يصدر من أعلى سلطة في البلاد، ممثلة في ولي العهد الأمير عبد الله الذي يدير البلاد نيابة عن الملك المعلول منذ عام ١٩٩٥. هذا القرار المأمول يقضي بإدخال اصلاحات سياسية جوهرية في المستقبل القريب. فالسعودية التي منها خرج ١٥ خاطفاً من بين أصل تسعة عشر خاطفاً في أحداث الحادي عشر من سبتمبر تواجه ضغوطاً مكثفة من واشنطن من أجل تغيير نظامها السياسي.

أما على صعيد الاشكالية الايديولوجية التي أنتجها الخطاب الديني السعودي بعدم التوافق بين الاسلام والديمقراطية، فإن التجارب الاصلاحية الحيوية التي تجري في

أجزاء عديدة من العالم الاسلامي تظهر بأن الديمقرطية والاسلام متوافقان. وهناك شواهد يمكن تسليط الضوء عليها في قائمة طويلة: في المغرب، صوّت المواطنون في سبتمبر عام ٢٠٠٢ في انتخابات حرة ونزيهة وشفافة في تاريخ البلاد، مسفرة عن برلمان جديد متنوع. وأن المسلمين يشاركون بصورة كاملة وفاعلة في الحياة المدنية للبلدان الديمقراطية والتي لا يشكلون فيها أغلبية. فهناك أربعين بالمئة من المسلمين الذين يعيشون كأقلية، بما في ذلك عدة ملايين في الولايات المتحدة يلعبون دوراً فاعلاً وهاماً في الديمقراطية الأميركية. وفي بلدان مثل الهند وفرنسا وجنوب أفريقيا فإن المسلمين يدحضون عملياً دعوى عدم تطابق الحياة الاسلامية مع المشاركة الديمقراطية.

في إيران، الدولة الدينية المنافسة للسعودية شهدت تجربة ديمقراطية مثيرة للانتباه، حيث يتوجه الايرانيون كل أربعة اعوام الى صناديق الاقتراح لانتخاب رئيس للجمهورية. وتشهد ايران منذ عدة أعوام ظهور تيار اصلاحي متنامي ينادي من أجل اصلاح شامل وجوهري والذي قد يفضي الى ديمقراطية متطورة وإنفتاح أكبر..في الدورتين الانتخابيتين للرئاسة الايرانية الأخيرتين وفي الانتخابات المحلية والبرلمانية، فإن الشعب الايراني صوّت لصالح الاصلاح السياسي والاقتصادي.

وهناك الآن تجارب ديمقراطية ناشئة تتطور بصورة تدريجية في كل من الجزائر واندونسيا والاردن ونيجيريا وتركيا وغيرها، فهذ الدول تسير نحو الديمقراطية رغم ما يعتري هذه التجارب من عيوب وثغرات ولكن ذلك لا يقلل من أهمية ميول هذه الدول نحو التوصل الى شكل من أشكال المشاركة الشعبية والتمثيل السياسي.

الرؤية الأميركية الجديدة: الديمقراطية لمحاربة الارهاب

يعتقد محللون ومراقبون دوليون بأن قاعدة صناعة القرار رغم ضيقها والبنى السياسية المغلقة في المنطقة تمثل عاملاً مسؤولاً عن الزيادة الدراماتيكية في التطرف الديني والارهاب في هذا الجزء من العالم. في ديسمبر سنة ٢٠٠٢ ألقى ريتشارد هاس مدير موظفي تخطيط السياسات التابع لوزارة الخارجية محاضرة في مجلس العلاقات الخارجية حول موضوع الديمقراطية في العالم الاسلامي. محاضرة هاس وصفت بأنها بيان رئيسي من مسؤولي حكومي كبير حول عنصر مركزي في استراتيجية الرئيس بوش في الشرق الأوسط. فبينما كانت الادارات الجمهورية والديمقراطية السابقة تؤكد على (الاستقرار) في مقابل (الدمقرطة) فإن النقطة الجوهرية في محاضرة هاس هي أن (الاستقرار القائم على السلطة وحده يعد وهماً وفي نهاية المطاف يستحيل بقاؤه).

يعتقد هاس بأن الديمقراطية تبقى نقطة محورية في السياسة الأميركية اليوم. فاستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة تشدد على أن اميركا يجب أن تقف بقوة من أجل المطالب غير القابلة للتفاوض للكرامة الانسانية: حكم القانون، قيود على السلطة المطلقة للدولة، حرية الكلام، حرية العبادة، العدالة المتساوية، احترام المراة، التسامح الديني والاثني، واحترام الملكية الخاصة.

في إجابته عن السؤال المحوري التالي: لماذ تشدد الولايات المتحدة غالباً على الديمقراطية؟، يقول هاس (إن هناك أسباباً عملية تدعو الولايات المتحدة لتطوير الديمقراطية في الخارج..وببساطة تامة، نحن سنزدهر بصورة أكبر كشعب وكأمة في عالم من الديمقراطيات أكثر منه في عالم الانظمة الشمولية والفوضوية). ويشرح ذلك قائلاً:

(إن العالم الديمقراطي هو عالم أكثر أمناً. نمط الديمقراطيات القائمة التي لن تساق للحرب واحدة تلو الأخرى يعتبر من الاكتشافات الواضحة في دراسة العلاقات الدولية. وهذا لا يعني أننا نستطيع تغليب المصالح والتعاون المثمر مع الانظمة غير الديمقراطية، كما لا يعني بأنه سيكون لنا تعارضات مع الديمقراطيات الصديقة. ولكن حين تكون هناك ديمقراطيات قائمة فإن ذلك يعني بأن هناك منطقة شاسعة في العالم، حيث تستطيع الامم تسوية خلافاتها عبر الطرق الدبلوماسية). ويلتقي هذا التفسير مع تصريح للرئيس الأميركي حول هذه النقطة في الأول من يونيو عام ٢٠٠٢ حيث قال (حين يأتي الكلام حول الحقوق والحاجات المشتركة للرجال والنساء، لن يكون هناك صدام حضارات. إن متطلبات الحرية تنطبق بالكامل على افريقيا واميركا اللاتينية والعالم الاسلامي بأكمله. فشعوب الدول الاسلامية تريد وتستحق الحريات والفرص نفسها كشعب في كل دولة. وأن الحكومات يجب أن تستمع لتطلعات وطموحات شعوبها).

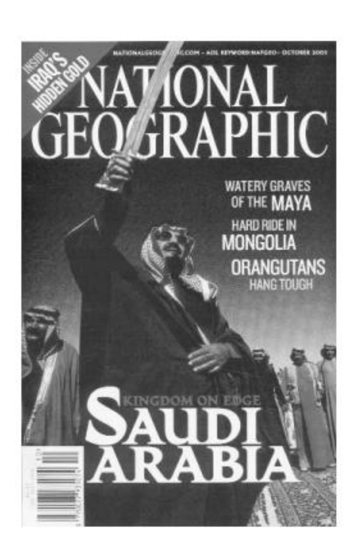
وفيما يريد الاميركون رؤية حركة باتجاه الاصلاح الديمقراطي كجزء من حربهم العالمية على الارهاب، تبدأ عدد من دول الخليج بالانفتاح لأن شعوبها تريد ذلك. فالبلدان الخليجية قد توصلت الى نتيجة مفادها أن الاصلاحات المتأخرة قد تكون أشد خطراً من البدء بها الآن. وبدلاً من منح الولايات المتحدة فرصة الضغط من أجل الاصلاح، فإن المنطقة قد توصلت الى قناعة بقيمة التحرك في طريق الاصلاح بما يتوافق مع الاعتبارات المحلية.

فالضغط الأميركي من أجل إصلاحات من الخارج تتوافق الآن مع مطالب بالتغيير من الداخل. فمنذ أن رفع نحو ١٠٤ من دعاة الاصلاح في المملكة عريضتهم (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله) والبلاد تتوقع بين يوم وآخر ذلك القرار الموعود ببدء مرحلة جديدة من الاصلاحات السياسية الجوهرية. فهذه الرؤية توافقت مع المستويات العالمية في برنامج الاصلاح السياسي حيث نصت العريضة على قائمة الحقوق والحريات المتفق عليها دولياً، كما طالبت ببرلمان وانتخابات حرة، وتوزيع عادل للثروة ومحاربة الفساد وحقوق المراة..

وحين طلب الأمير عبد الله لقاء عدد من الموقّعين على العريضة للتشاور كانت المؤشرات كلها في السعودية تتجه الى أن بداية وشيكة ستؤرخ لتطورات حقيقية في البلاد باتجاه اللبرلة للنظام السياسي بعد نهاية الحرب على العراق. وفي مؤشر آخر على نوايا الاصلاح، فإن الحكومة السعودية استقبلت فريق حقوق الانسان التابع لهيئة الامم المتحدة ووفد منظمة مراقبة الشرق الأوسط (ميدل ايست واتش) لحقوق الانسان وهي الزيارة الأولى من نوعها الى المملكة. وكان الاعتقاد الأولي يشير الى أن قرارات ما قد إتخذت لبدء انتخابات في المؤسسات المحلية ومجالس المناطق، وتنامى التوقع الى حد انتظار ولادة مجلس وطني منتخب سيقدر له رؤية النور خلال فترة تتفاوت بين خمس الى ست سنوات.

فالمملكة المتناقضة تواجه اليوم ضغطاً متنامياً في الداخل والخارج من أجل الاصلاح السياسي، ففي مواجهة النداءات المحلية والخارجية من أجل الاصلاح والالحاحات المتصاعدة من العولمة، تقف العائلة المالكة اليوم أمام مفترق طرق. الاصلاحات التي يتطلبها الاقتصادي العولمي تتناقض مع كل من مصالح النخبة الحاكمة ومطالب السكان المحليين. فالسعودية حسب داريل شامبيون في دراسته The Paradoxical Kingdom تواجه خمس موضوعات مترابطة: اكتشاف التيارات الدينية المتداخلة والمعقدة، الأعراف والتقاليد، الاقتصاد المحلي والعالمي، والسياسة، وسلطة الدولة، حيث أن الدولة السعودية ستواجه صعوبة في الدخول الى القرن الحادي والعشرين.

مملكة على الحافة



مقالة مثيرة، تحاول الاقتراب من النقاط الساخنة والمتفجرة في المجتمع والدولة معاً، وقد لامست بشيء من الايجاز ولكن الدقيق عدداً كبيراً من أزمات البلاد الحالية، ولربما كان ذلك سبباً كافياً لأن تقدم الحكومة على منع دخولها للاسواق السعودية. فكاتب المقالة قد نفذ الى أعماق المجتمع وتحدث مع مختلف شرائحه وتنقل بين مناطقه، وتعرف على المستويات المعيشية المتناقضة، كما تعرف على إتجاهات التفكير السائدة، ونقل قصصاً عن معاناة الناس. سنقوم هنا بعرض موجز للمقالة وقد أهملنا ما هو شائع ومعروف تجنباً للتكرار، وفيما يلي العرض:

كيف تبدو السعودية بعد الحادي عشر من سبتمبر، هذا ما تكفلت مجلة ناشيونال جيوجرافي الاجابة عنه في عددها الصادر في شهر أكتوبر الحالي، وهو العدد الذي صدر فيه قرار بمنع دخوله الاسواق السعودية. فتحت عنوان (مملكة على الحافة.. العربية السعودية ممزقة بين التقاليد القديمة والعالم المعاصر، السعوديون يبحثون عن توازن في أعقاب غضبة الحادي عشر من سبتمبر). أظهرت المجلة صوراً معبِّرة نقلها الكاتب عن مشهدين متناقضين للحياة في السعودية، بين قاطني الأبراج العاجية والمتكدسين في خرائب، وبين الاتجاه المتسارع نحو الارتماء في أحضان الحداثة بكل أبعادها، والنزوع الشديد نحو الابقاء على تقاليد الهيمنة.

مقالة فرانك فيفانو للمجلة عبارة عن خلاصة تجربة ميدانية عاشها الكتاب خلال أربعة شهور (من رمضان الى ذي الحجة) في ١٣ منطقة من مناطق المملكة السعودية، بدأت بجدة التي يصفها فيفانو بأنها الماكينة التجارية في السعودية والتي يقطنها مليونا نسمة. تاريخ زيارة فيفانو وافقت شهر رمضان حيث نظام الحياة يتبدَّل بصورة شبه كلية، إذ تخلو الشوارع في وقت مبكر من الليل، وتقفل المحال التجارية والمطاعم أبوابها طيلة ساعات النهار بحسب التقاليد الاجتماعية في المملكة، حيث يمضي الناس معظم أوقاتهم داخل بيوتهم، فهناك ساعات طويلة تفقد فيها الحياة ايقاعها المعتاد. ولكن ما إن يحل الظلام وينتهي الناس من تناول وجبة الافطار يبدأون بالتدفق الى الشارع بصورة كسولة ما تلبث بالتنشط تدريجياً حيث تدب الحياة في الاسواق والمحال.

يقول فيفانو بأن جدة في منتصف الليل تكون على طرفي نقيض مع السعودية المعاصرة، وبحسب سعاد اليماني، اخصائية الاعصاب (نحن نسير بإتجاهين متعاكسين في وقت واحد: الى الامام والى الخلف)، وتستند اليماني في تصورها على تجاربها مع المرضى الذين يعانون من آثار التشتت الذهني الناجم عن التغييرات التي أحدثت صدمات عميقة لمجتمع محافظ جرى نقله من القرن السابع الى القرن الحادي والعشرين خلال دورة عقود قليلة.

فبالنسبة للسعودية فإنها ليست بلداً تقليدياً آخر يحاول التعاطي مع التغيير، وكحافظ للمدن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة إذ هي تتولى دور الراعي الرئيسي للاسلام والمركز الروحي لنحو مليار وثلاثمائة مليون مسلم في العالم. إن السعودية التي تديرها ملكلية قبلية وتمتثل لأحكام الشريعة هي حليف إستراتيجي للولايات المتحدة ومصدر ما نسبته ٢٥ بالمئة من الاحتياطي العالمي الثابت من النفط وهذا ما جعل العائلة المالكة نافذة ومهيمنة وقوية بصورة غير اعتيادية.

إنها ـ السعودية ـ مسقط رأس أسامة بن لادن والخمسة عشر متهماً في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إنها دولة متهمة برعاية الارهاب، ولكن في الوقت نفسه سقطت هي الأخرى في مصيدة الارهاب والهجمات الارهابية داخل أراضيها كالتي حدثت قبل أربعة شهور في الرياض والتي أودت بحياة ٣٤ شخصاً من المواطنين والأجانب.

السعودية اليوم هي في مركز اضطراب ثقافي وجيوبوليتيكي، حيث يلتقي الاسلام بالعالم الحديث، والتقليد القبلي باستهلاكوية الهاتف الخلوي والثروة الخرافية بالغموض والانسلاخ. فما يحدث للسعوديين الاغنياء بالنفط، وهم يحاولون مصارعة الارباكات الحاصلة في قلب بلاد الاسلام، يحدث إهتزازات في كل أنحاء الأرض.

يقول فيفانو ان هذا على وجه التحديد ما أتى به الى السعودية، ففي صبيحة إحدى مواسم الشتاء وجد نفسه وبصحبته إثنين من المرافقين السعوديين في سيارة

تحاول الصعود نحو الشرق الى منطقة الباحة، وهي المنطقة الأكثر وعورة وصعوبة في السعودية وهي أرض القرى العشوائية والأرض القاحلة والسلسلة الجبلية والتي كانت موطناً لعدد من المتهمين في أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

فالطريق الجبلي الذي يبدأ من البحر الأحمر قد تم مراقبته بقفاز حريري من نقاط التفتيش، حيث يصل عدد النقاط الى ثلاث في طول ١٢ ميلاً. يقول فيفانو (حين وصلنا مدينة الباحة، العاصمة الاقليمية، لحظنا أن هذا مكانا غير مرغوب للعمل بسبب ظروف الطقس القاسية، حيث يكثر فيها الهنود والباكستانيون والأفغان، ويصل تعداد العاملين من دول العالم الثالث الى عدة آلاف يعملون كسائقي شاحنات وعمال في المصانع، وأيدي عاملة في محال تجارية ومحاسبين، وفي الاعمال السكرتارية).

الشباب الذين يشعرون بالملل مع فائض وقت كبير فإنهم يصوّرون أزمتهم على هذا النحو وهو إنشطارهم بين تحديث مستعار وأعراف مهددة، وهي الأزمة الجذرية التي من غابة هؤلاء إنبعثت. وعلى حد قول أحدهم فإن (الخاطفين لطائرات الحادي عشر من سبتمبر كانوا منتجاً مباشراً لأشكال فشلنا الاجتماعي - جيل بدون إحساس بما يتطلبه العمل، نشأ في نظام يعمل كدولة رفاه). وقد أخبرني - حسب فيفانو - مسؤول حكومي رفيع المستوى قائلاً (إننا سمحنا لهؤلاء أن ينموا في فراغ مدلل، حتى تحولوا الى متطرفين لإبن لادن في مسعى لتحقيق ذواتهم).

يزعم السعوديون بأن القاعدة تمكنت بصورة مقصودة من تعبئة صفوفها من خلال الشباب المنسلخ في المملكة. وكان هدف بن لادن، حسب اعتقادهم، هو قلب نظام الحكم في السعودية، جزئياً لاقناع الغرب بأن المصدر الاساسي للنفط متأثر بصورة حاسمة بالتطرف.

وينقل عن الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض قوله (لسنا دولة إرهابيين ومتعصبين. وليس في مقدورك القاء اللوم على الشعب بأكمله بسبب جريمة إرتكبت من قبل مجموعة صغيرة من الافراد الهامشيين). وينقل فيفانو عن شاب عمره ٢٢ عاماً من جدة قوله بأن (المجانين المقاربين لسني، وأن الناس الذي يقولون بأنهم يجب علينا الذهاب لقتل الأميركيين هم يمثلون ما نسبته واحد الى إثنين بالمئة منا).

ويعلق فيفانو بالقول بأن مصطفى شأنه شأن كثير من المقاربين لسنه عاطلون عن العمل، وليس لديهم طموح واضح. فتقديرات البطالة بين السعوديين تصل الى ما يربو عن ١٥ بالمئة وتصل الى نحو ٣٠ بالمئة في أوساط الشباب من أعمار ٢٠ الى ٢٤ عاماً. وفي كل عام يدخل نحو ٣٤٠ ألفاً من السعوديين الى قوة العمل يتنافسون على ١٧٥ ألف وظيفة. فانسداد ابواب الجيش المتضخم بعدد كبير من البائسين، قد فرض على أعداد كبيرة تمضية أيام وليال في مراكز التسوق والمشي في الطرقات دون هدف واضح. فالحل واضح: استبدال العمالة الأجنبية بعمالة سعودية. فتحت سياسة السعودة حاولت الحكومة تطبيق هذه السياسة منذ منتصف الثمانينات. إن الدولة تمنح عدداً من القروض بدون فوائد الى أي مواطن يريد تأسيس مشروع تجاري خاص، وتقدّم مرتبات للطلبة الذين يرغبون في الالتزام ببرامج تدريب مؤقته. والهدف من ذلك هو الحلول محل ٦٠ بالمئة من العمال الأجانب بعمال سعوديين، في وظائف تتراوح بين سائقي التكسي الى المدراء الإدرايين. ولكن بعد عقدين من سياسة السعودة فإن الأجانب مازلوا يشكلون أكثر من ٩٠ بالمئة من كافة موظفي القطاع الخاص في المملكة.

وحتى وقت قريب، كان كل شاب سعودي يعتقد بأنه يستطيع الخروج فوراً من المدرسة الى شقة فارهة (فهم يتخيلون بأن هذا المجتمع سيكون كله مدراء وليس فيه هنودا) حسب ما يقول الأمير الوليد بن طلال لأخبار العرب.

أما الآن، كما يقول خبراء الاقتصاد، فإن شيئاً ما لا بد أن يعطي، مبتدءا بالنظام التعليمي الذي فشل في استيعاب متطلبات الصناعة الحديثة. (فالشركات التي جاءت إلينا تبحث عن عمال مهرة، وتجار، ومهندسين، وفنيين) حسب ناصر صالح الحمود مدير مكتب البطالة في بريدة، وهو مركز للزراعة من ٣٥٠ ألف شخص في وسط السعودية، ولكن قلة من السعوديين مؤهلين لهذه الوظائف.

أحد زبائن الحمود شاب يدعى عبد الرحمن العلي ويبلغ من العمر ٢٥ عاماً يقول (لقد حاولت العثور على عمل لنحو عام). وقد أخبر هذا الشاب صاحب المقالة فيفانو بأنه (حين تقدّم بطلبه قال لي الناس هناك بأنهم سيتصلون بي، ولكنهم لم يفعلوا ذلك بتاتاً). فكما الحال بالنسبة لعدد من السعوديين فإن المشكلة هو في التحصيل العلمي، فالعلي حاصل على شهادة البكالوريوس في الفلسفة الاسلامية.

يقدّم فيفانو لمحة تاريخية عن مراحل تطور الدولة السعودية منذ نشأتها في أطوارها الثلاثة والتحالف الديني السياسي بين آل سعود وآل الشيخ ودور العامل الخارجي (البريطاني تحديداً) في تأسيس الدولة مروراً بإكتشاف النفط بكميات تجارية وصولاً الى الطفرة الاقتصادية في بداية السبعينيات والتي أحدثت نقلات نوعية دراماتيكية في الدولة والمجتمع. يقول فيفانو بأن موجات الصدمة التي أحدثها اكتشاف النفط في حياة المواطنين كانت قوية بصورة غير إعتيادية، فقد شهدت الجزيرة العربية تغييراً خلال العقود الستة الماضية أكبر من القرون الثلاثة عشر السابقة. ويدلل على ذلك بالزيادة الديمغرافية الهائلة في مدينة الرياض حيث كان يقطن الرياض، والتي يطلق عليها مدينة الواحة النائمة، حتى عام ١٩٥٠ نحو ٦٠ ألفاً كان يعيش غالبيتهم في بيوت طينية. ولكن مع الطفرة النفطية في السبعينيات وبدء مشاريع البناء والاعمار المحموم والتي لم يسبق للشرق الأوسط أن شهد مثلها فإن الأمور تغيّرت بصورة إنقلابية وبحسب مسؤولين في مؤسسة التنمية العقارية فإن الرياض تحتضن ما يقرب من أربعة الى أربعة ملايين ونصف، وهي في طريقها لأن تصبح مدينة ضخمة في الجزيرة العربية. ينعكس ذلك أيضاً على الزيادة السكانية الضخمة حيث كان تقدير إجمالي عدد السكان في السعودية عام ١٩٧٠ يصل الى ٦.٢ مليون فيما يقدّر عدد السكان في عام ٢٠٠٣ بنحو ٢٤ مليون، وهي أكبر زيادة على الأرض. فالمرأة السعودية تضع أكثر من ستة أطفال في المعدل.

وهؤلاء يولدون في مجتمع منسوب الى

بيئة الصحراء القاسية، ومحكومين من قبل عائلة مالكة متفردة، وقد تناموا خلال فترة قياسية في شبكة من مدن القرن العشرين غير المناسبة. إنه مجتمع يكاد يبدو مكمماً من بعيد - بالنظر الى الفضاء العاتم والكاريكاتير الذي يغلف النظرات الغربية عن المملكة - أو في أحسن الأحوال يتحدث بصوت رسمي عن دولة اتوقراطية ظالمة.

ينقل الكاتب بعض الصور من مشاركته في مجلس ولي العهد الأمير عبد الله، حيث لحظ إجراءات أمنية مشددة عند مركز قيادة الحرس الوطني تحسباً لهجمات قد يشنّها أفراد من تنظيم القاعدة، ولكن هذه الاجراءات تتخفف فور الوصول الى المجلس الذي تبلغ مساحته اكثر من ألف قدم مربع وهو مؤثث تأثيثاً حديثاً يشبه الى حد كبير صالون لويس السادس عشر، ولكن العادات البدوية كانت حاضرة. وقد لحظ فيفانو رجلاً مسنّاً يرتدي فروة الرعاة حين اقترب من الأمير عبد الله، فبعد أن تصافحا جلس الرجل المسن أمام الأمير وبدأا يتناقشان في المشكلة رجلا لرجل، فيما كان يربت المسن عل كتف الأمير بين الفينة والأخرى للفت إنتباهه للنقاط الاساسية الواردة في الورقة التي قدّمها له. وكالعادة فإن الأمير يقوم بتسليم الطلبات الى من يليه من رجاله للبت فيها أو تحويلها الى الجهات المختصة.

يتحدث الكاتب عن مجالس عديدة تعقد في كافة الارجاء بعضها تدور حول موضوعات تجارية وأخرى فكرية وثالثة سياسية ورابعة دينية، وحسب قوله ففي هذه التجمعات فإن الرؤى المتقابلة حول مستقبل المملكة يمكن تخيلها ومناقشتها.

في زيارته للمدينة المنورة خلال موسم الحج لحظ الكاتب نموذجين من الاسلام: النموذج الاسلامي العام والنموذج الاسلامي المحلي. وحسب وصفه فإن أغلب التفسيرات السعودية للاسلام في عام ٢٠٠٣ تبدو كأنها العصب الطهراني الذي تحرك منذ قرنين من الزمن من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المصلح الديني الذي أضفى بتحالفه مع عائلة آل سعود مشروعية دينية على السلطة السعودية المتضخمة.

اليوم وفي كافة مساجد البلاد والمدارس الدينية المموّلة من قبل الحكومة عبر العالم الاسلامي، فإن الخطباء يناصرون المنهج الوهابي، القائم على أساس العودة الى الاسلام النقي والذي مورس في عهد النبي (ص). ولكن في روح هذا المنهج ثمة تناقض عجيب مع الاستهلاكوية التي تفجّرت في السعودية منذ اكتشاف النفط والبذخ الذي يسيطر على نمط حياة العائلة المالكة. وبالرغم من أن انتقاد العائلة المالكة بصورة علنية يبدو نادراً، ولكن بعض الخطباء يتحدثون بصراحة عن موضوعات سياسية بأصوات تميل بإتجاه التشدد. وما هو شائع هو الخطب المناوئة للغرب والتي تعاضد شعار أسامة بن لادن بأن بلاد الاسلام قد وقعت في أسر الأجانب الفاسدين.

وينقل الكاتب معاناة إحدى المدرسات اللاتي أجبرن على قطع مسافات بعيدة من أجل العمل. المدرسة وفا.م البالغة من العمر ٢٦ عاماً مدرسة علوم، كرّست حياتها العملية لهذه المهنة، ولكنها تعاني من تعب المشوار الذي يلزمها بقطعه خمسة أيام في الأسبوع من جدة الى مدرسة ثانوية في قرية بالقرب من المدينة المنورة، حيث لا يوجد من يقوم بمهمة تدريس علم الاحياء حال غيابها. وهذا بحد ذاته يضعها على حافة التغيير في مجتمع كان فيه نصف النساء غير متعلمات حتى منتصف التسعينيات.

وبموجب القانون فإن وفا لا يمكنها قيادة السيارة، ولذلك فإن عليها إستئجار سيارة خاصة بالاشتراك مع زميلات لها. ولا يمكن لها أن تمشي في شوارع مدينتها بدون نقاب أو حجاب بما يضعها في خطر الاصطدام بالمطاوعة، ولا تستطيع السفر للخارج بدون محرم، أو قريب من داخل عائلتها.

في حديثه عن أمراء العائلة المالكة، يذكر الكاتب أن المئات منهم تلقى تعليمه في جامعات أوروبا وأميركا الشمالية قبل ثلاثين عاماً. وحين تزور بيوتهم ويتحول النقاش الى أشبه ما يكون بالحنين الى الماضي، فإنهم يوشكون ان يعيدوا إحياء طائرة جيفرسون وألبوم فرقة البيتلز ثم يديرونه في جهاز الاستيريو. فذهنيتهم هي عبارة عن خليط معقد من الالتصاق العميق بالقيم العربية التقليدية كما يرونها مجسّدة في عائلة آل سعود، ورؤية عالمية شاملة ولّدها التعليم في الخارج خلال الستينيات والسبعينيات. فهناك قوتا انشداد متنافرتين، تكاد تفوق ما هو عليه حال رعاياهم، تجذبهم في إتجاهين متعاكسين، وأن شعورهم بالأزمة حاد. وينقل عن الأمير فيصل بن عبد الله الذي يعمل في منصب إداري في الحرس الوطني قوله بأن (ما سيحدث في الخمس والخمس عشرة سنة القادمة سيكون حاسماً). ويعتقد الكاتب بأن هناك اتفاقاً عاماً على أن من سيقود المملكة سيواجه مهمة شديدة الالحاح وهو خلق تعريف سعودي للتقدم من أجل الحلول مكان تلك المستعارة أو المشتراة من مكان آخر.

ينقل الكاتب عن موظف في مكتبة الملك عبد العزيز في الرياض قوله (إذا أردنا أن نعيش كأمة، يجب علينا أن نكون جزءا من العالم مرة أخرى، ونشارك بصورة كاملة فيه) ويضيف (يجب أن نحرر أنفسنا من فكرة أننا نستطيع حماية ثقافتنا، وإسلامنا بعقول مغلقة). يعلق الكاتب بأن تطورا غير مسبوق بالنسبة لزائر يسمع في عام ٢٠٠٣ فكرة باتت تكتسب زخماً لمقاومة أصوات التطرف. ويذكر في هذا الصدد وفد عريضة الرؤية الذي زار الأمير ولي العهد قبل ثمانية شهور، والذي عبّر فيه أعضاء الوفد عن مطالبهم بضرورة البدء بإصلاحات جوهرية في البلاد، وأن ثمة انفتاحاً مرتقباً وجديداً من قبل الدولة على المجتمع، من خلال تدشين انتخابات ديمقراطية، واعادة تنظيم للعلاقة بين الرجال والنساء والحرية الدينية.

وينقل الكاتب تصريحاً للأمير عبد الله عقب لقائه بوفد العريضة قائلاً (إن الوقت قد حان لتجديد الروح الوطنية..ولإثبات بأن العرب قادرون على تنظيم أنفسهم كأمة باقية). ويعلق الكاتب (لقد تذكرت وفا مدرسة مادة العلوم وأن أقرأ كلمات الأمير عبد الله، والنموذج الديمقراطي الذي وجدته بين البدو. إن هناك حلماً ببلوغ عهد ذهبي جديد في المملكة للتوفيق بين الصراع بين الماضي والمستقبل بين المطوعين والهاتف الخلوي، وبين القرن السابع والعالم المتغير سريعاً للمسلمين اليوم. والحاصل النهائي سيحدد مستقبل السعودية وربما مستقبل الإسلام في الارض).

البعد الآخر في الديمقراطية

السعودية نموذجاً

الاقتران الوثيق بين الديمقراطية والنمو الاقتصادي قد فقد أحد مصاديقه في السعودية، فهذا النمط من التحليل الذي يربط بين التحديث الاقتصادي والانتقال الى الديمقراطية، لا يبدو قد أنجز وعده كما يحلو لأنصار هذا التحليل. فقد شهد هذا البلد فيما مضى من السنوات نمواً إقتصادياً مفاجئاً وخضع لبرامج تحديث كانت كفيلة بتخريب نظام القيم التقليدية وبالتالي خوض غمار التحوّل الاجتماعي والثقافي وصولاً الى الديمقراطية في شكلها الراسخ، ولكن هذا التحديث لم ينتج دولة ديمقراطية. وبقي السؤال المركزي قائماً: هل الخلل كامن في التحديث نفسه أم أن هناك عوامل أخرى أشد تأثيراً وأهمية من عامل النمو منفرداً. يعتقد فريق من المنظرين بأن المشكلة تكمن في سيادة الواحد، سواء كان هذا الواحد ديناً، أو سلطة مطلقة، أو ثقافة مصممة لمناوئة الثقافات الأخرى، فهذه الواحدية تسدي خدمة منفردة ومطلقة للدولة وليس للمجتمع المتعدد ثقافياً وإثنياً ودينيا. في المقابل تمارس الواحدية عملية إفقار منظمة للقوى الاجتماعية في حصولها على فرص المشاركة في عملية الدمقرطة.

لقد ثبت بأن الديمقراطية قد تنتشر في الدول الأكثر نمواً والأقل نمواً على حد سواء حين تكتمل عناصرها، أي وعي الحقوق والصفة التمثيلية للقوى السياسية والوطنية، وهكذا الحال بالنسبة للاندماج الحاصل في بعض المجتمعات بسبب التطور الاقتصادي المتقدم في مقابل المجتمعات المنقسمة الى طوائف وأعراف لأسباب متعارضة مع الاندماج، كالاحتلال والأنظمة الفئوية والعشائرية.

فالواحدية بكافة أشكال سيادتها تقضي على تعدد الفاعلين الاجتماعيين، وتحرم المجتمع من التعبير عن تنوعه في هيئة نشاطات سياسية وثقافية واجتماعية تدحض نزوع الدولة الى الاستئثار الكامل بالسلطة والانفراد بالقرارات المصيرية المتصلة بالمجتمع.

فالمناخات المناسبة لانتشار الديمقراطية لا تتوقف دائماً على اعتبارات النمو الاقتصادي، بل على وعي المجتمع أو قطاع كبير منه بحقوقه. فالعامل التحديثي يكون فاعلاً في المجتمعات حين يقترن بهذا الوعي الحقوقي، والا فإن غيابه سيبقي على النمو خادماً للنظام الشمولي الذي سيفيد منه في ترسيخ قوته المادية، وتوسيع سلطة أجهزته الأمنية والقمعية. ولذلك يبدو وجيهاً الرأي القائل بأن الديمقراطية تصبح غير ممكنة حين يكون المطالبون بها قلة في ظل نظام ديكتاتوري شمولي، إذ لابد من وعي ديمقراطي مقاوم لوسائل الأجهزة القمعية.

الخيار الديمقراطي في السعودية يسوّق حالياً عبر قوى ثقافية واجتماعية تناضل من أجل فرضه على الدولة، وفي زمن توقفت فيه عجلة التنمية وبدأت فيه مرحلة تراجع في مسيرة التحديث الاقتصادي، إذ تكشفت في هذا التراجع حاجات الافراد للتعبير عن أنفسهم بعد أن أيقضتهم نزعة البحث عن الحقوق في أبعادها المختلفة. فالمطالبة بالديمقراطية تتغذى في الوقت الراهن على ارتدادات فشل الدولة في التحول الى دولة القانون والديمقراطية، وهذا بحد ذاته يوفر أكبر مبرر للتعبئة من جانب القوى الاجتماعية والسياسية من أجل جر الدولة الى خيار ديمقراطي مكرهة على قبوله.

إن الثقافة الحقوقية التي تنتشر بصورة واسعة بين السكان يصعب حرفها الى صالح خيارات غير ديمقراطية، لأنها ناتجة عن الاحساس بغيابها، كما أن الميول المتنامية للأفراد نحو الحصول على صفة تمثيلية داخل الدولة هي غير قابلة للإخماد لأنها حصيلة شعور بالنبذ، فالدولة لا تملك الا أن تستجيب لارادة شعبها حين تكون إرادتها مشلولة.

فأزمات الدولة الراهنة قدّمت من الحجج ما يكفي لنمو ثقافة إعتراضية يحرّكها التوق الى رؤية مرحلة تكون فيها الحقوق والحريات مكفولة، فالاختناق الداخلي مع بقاء الازمات بل وتفاقمها لا يجتمعان لفترة طويلة، ولابد من يوم يأتي بتفجّر الأوضاع بطريقة غير مدركة حتى بالنسبة للقوى الاجتماعية والسياسية نفسها التي تجهل أحياناً الغليانات الكامنة داخل الجمهور الذي يستجيب تلقائياً لخطابها الاحتجاجي، فدرجات الشعور بالإختناق متفاوتة وتبعاً لها تكون أشكال التعبير عنها وردود الفعل إزائها.

إن الديمقراطية بما هي إختيار سياسي تمثل العنصر الأكثر إشعاعاً في ثقافة السكان هذه الأيام، وأن قوى الكبح الداخلية غير قادرة على إضعاف هذا العنصر، فالوعي الديمقراطي يتزايد بدرجة ملحوظة وهناك إجماع غير مسبوق على أن تسوية مشكلات الدولة والمجتمع تكمن في التبني الجماعي لخيار الاصلاح السياسي الشامل والجذري.

إن محاولات الدولة اليائسة والبائسة من أجل إحداث عطب في وعي السكان وتعطيل مسيرة الاصلاح غير مجدية في ظل محفزات هائلة تشجّع مجتمعة على السير الحثيث نحو التغيير، مهما بهضت الكلفة وفدحت الخسائر، فالضابط الآن ليس في جرعة الاصلاح وشكله، بل يمكن الزعم بأن قدرة الضبط باتت ضعيفة الى حد أن الدولة تدرك حالياً بأنها عاجزة عن إتخاذ قرار بالتغيير يؤدي في نهاية المطاف الى إنهيار الدولة وتفككها.

ومهما يكن، فإن النقطة الجوهرية هنا أن نشر ثقافة ديمقراطية بين السكان يتم الآن بفعل الوعي الحقوقي والرغبة الجامحة في المشاركة في القرارات المصيرية التي ترتبط بالسكان أنفسهم، فالفصل الذي مارسته العائلة المالكة بين ما هو خاص بها وبين ما هو عام لم يعد موجوداً، لأنه فصل كارثي، وليس هناك خاص وعام بعد اليوم، فالأزمات التي صنعتها الدولة خلخلت أسس استقرار المجتمع، بدءا بمستوياته المعيشية وانتهاءً بحقوقه السياسية والثقافية.

تماماً كما أن الواحدية اليوم غير ممكنة، لأن التنوع الثقافي والديني والاجتماعي كشف عن نفسه كرد فعل على أزمات وليدة من تلك الواحدية، وبالتالي فإن الجميع يرى بأنه شريك وله حق الحصول على حصة عادلة في هذا البلد..حصة في التمثيل السياسي، والتعبير الثقافي، والتشكل الاجتماعي، وإذا فشلت الدولة في تحقيق مفهوم الاندماج الشامل والعادل بين الفئات الاجتماعية فإن المجتمع يتكفل حالياً بمهمة تنظيم الصفوف بوحي من وعيه الحقوقي وإحساسه العميق بأن الديمقراطية ستتكفل بتسوية أخطاء الماضي.

تعمية وشللاً

إزدواجية الخطاب الرسمي السعودي

هناك غياب مريع لخطاب رسمي واضح. ونقصد بغياب الخطاب السياسي للحكومة، تلك السياسة التي تنهجها، والأهداف التي تريد تحقيقها، والمسار الذي تختطّه لتحقيق تلك الأهداف، وفي مقدّمتها التبريرات التي تضعها لإقناع جمهورها بذلك الخطاب وما يحويه من أهداف وتوجهات بغية إشراكه فيه والمساعدة على تحقيقه.

المشكلة كما نراها واضحة اليوم، هي أن الحكومة السعودية لاتزال متمسكة بالخطاب القديم، الخطاب الذي يحدد هويّة الدولة وأهدافها. فهي كما تشي عبارات المسؤولين وتصريحاتهم (الجديدة) دولة سلفية، تستهدف تحقيق أهداف دينية على الصعيد المحلي، يدخل فيها عنصر الهيمنة الدينية ـ الوهابية، ويدخل فيها المزيد من (تديين) الشعب السعودي، وزيادة الجرعة الدينية في ثقافته اليوم وفي ممارساته الحياتية. وخطاب الدولة القديم والحاضر، خطاب سياسي محافظ، يرفض الإصلاح السياسي، بحجّة أنه موجود ولم ينقطع منذ تأسست الدولة، ولذلك تظهر عبارات: القرآن دستورنا، والشورى كانت ولاتزال نهجنا، وبالتالي لا يوجد شيء يحتاج الى تغيير. والخطاب القديم يعطي للقوى المحافظة الدور المهيمن على حياة السكان وعلى ثقافتهم ومسلكهم، ويبعد كلّ من يعترضه، سواء على قاعدة وطنيّة أو دينية مذهبية. كما أنه خطاب يتمتع بسمة الجمود في كل شيء تقريباً، ويبقي العائلة المالكة ومن ثمّ الدولة ومؤسساتها محوراً لكلّ فعل ونهج، ولا يعترف للجمهور بأي دور مهما صغر.

هذا الخطاب القديم، الذي أنتج الأزمة الحالية التي تعاني منها المملكة، لازال محافظاً على مواقعه، تجده يتعايش جنباً الى جنب مع خطاب جديد يحاول أن يجد له موقعاً في وسائل الإعلام المختلفة المحلية، وأن يعبّر عن قاعدته بشتّى الوسائل الممكنة. أيضاً فإن الخطاب الجديد الذي بدا وكأن العائلة المالكة قد سمحت بتمرير عباراته وفي بعض الأحيان يستخدمها الأمراء الكبار في مفردات لم تكن مألوفة: كالتعددية، والحرية، وحقوق المرأة، وحرية الصحافة، وحقوق الإنسان، والوحدة الوطنية، والهوية الوطنية، الخ.. هذا الخطاب الجديد، لم تستطع المعدة الرسمية حتى الآن من هضمه، ولا هي ـ فيما يبدو ـ مقتنعة به، ولكنها أجبرت ـ على الأرجح ـ على استخدامه ومحاولة ركب حصانه، منعاً لمصادمته وهو يكتسب زخماً جديداً ودفعاً داخلياً وتأييداً خارجياً من خلال الضغوط المباشرة على السلطة أو من خلال النماذج التي تقدمها الدول المجاورة.

الخطابان الجديد والقديم يحويان قدراً كبيراً من التعارض، في ثنائيات متصادمة واضحة، فالدولة الدينية توضع قبال الدولة المدنية، والهوية الوطنية تتعارض مع الدولة السلفية، ومع مصالح الفئات المحافظة سياسياً ودينياً والتي تسيطر على معظم جهاز الدولة. لا تستطيع أن تطلب حقوقاً للمرأة أو

إزدواجية الخطاب زادت من التناقضات الإجتماعية والسياسية حتى في الجهاز الرسمي

ترعى حقوقاً للإنسان وفق النهج السلفي القائم. كما لا يمكن تحقيق التعددية في وقت يعزّز فيه الخطاب القديم نزعة الإقصاء ويحتكر صوت الفرقة الناجية والإثرة بالسلطة والثروة.

إن وجود خطابين سياسيين للدولة متعارضين، أو لنقل غير متصالحين، أو على الأقل لنقل بأن الدولة لم تسع أو فشلت في مصالحتهما، أو هي لا تريد تلك المصالحة أساساً.. وجود خطابين متعارضين يؤسس لرؤيتين سياسيتين ولمشروعين سياسيين متناقضين يشقان الجمهور. فالسلفيون يعتقدون ـ وفق حضور الخطاب القديم ـ بأن الدولة لاتزال أمينة على ماضيها السلفي، ومحاباتها لرموزه، وأنها تدعم ذلك الخطاب، وبالتالي تشجّع التيار السلفي على المضي في



الأمير الحائر والعاجز!

أفكاره وتصوراته القديمة تجاه المواطنين وتجاه الإصلاح السياسي وتجاه النظام نفسه.

ومن جهة ثانية، توجّه مفردات الخطاب الجديد، شريحة من المواطنين، الى أن المملكة بصدد التغيير والإصلاح، وبالتالي يجب العمل والدعوة اليهما، لأن مؤشرات القبول بهما واضحة في تصريحات المسؤولين، الذين ما فتئوا يتحدثون عن ضرورتهما وأن الإرادة السياسية متوفرة لتحقيقهما!

الواضح أن خطاب الدولة مرتبك غير قادر على الحسم، فإما الإستمرار في القديم أو البدء بالجديد، وهو يدل على عجز في تقرير وجهة الدولة في المستقبل. لكن الإستمرار في الخطاب القديم وعدم رفض الجديد أو الإصطدام معه يدلّ على انتهازيّة وسوء نيّة، فالحكومة تخاطب شريحتين غير متساويتين في الحجم، إحداهما سلفية، والأخرى بقية الشعب. للأولى قديمها وللأخرى جديدها دون المضي فيه. ولذلك لا يجب أن نستغرب لماذا يكثر الحديث عن الإصلاحات دون أن نراها! فلو كانت النيّة باتجاه الإصلاحات لكان الخطاب السياسي واضحاً محدداً لا متعدداً متناقضاً يستخدم التكتيك للخروج من الأزمة بأقلّ التنازلات السياسية.

النيّة في الإصلاح تفترض سيادة خطاب جديد، خاصة إذا كان التعايش بين القديم والجديد أضحى غير ممكناً، على الأقل ضمن الرؤية السلفية المتشدّدة. إذا كان من الصعب إحلال خطاب جديد مكان القديم، فإن بالإمكان ـ لو توفرت النيّة لدى أمراء العائلة المالكة ـ إخراج الإصلاحات في إطار الخطاب القديم. أي تقديم تبريرات دينية للإصلاحات السياسية، مثلما فعل الكثيرون، سواء في عهد الدولة العثمانية أو الدولة الإيرانية الحالية.

لكن التخبّط الحكومي الذي نراه في كل الإتجاهات والمجالات، ليس سببه ازدواجية

الخطاب فحسب، وإنما التعمية عبر الإزدواجية. لا شك أن هذا التخبط انعكس على المسؤولين والمقربين من العائلة المالكة نفسها. ففي حين يصرح عادل جبير بأمر يأتي وزير الداخلية فينقض كلامه، مما يدلل على أن الجبير نفسه لم يفهم (اللعبة). ونفس الشيء يمكن قوله عن صحافيين مقربين من السلطة، خدعوا بمفردات الإصلاح، فما أن تمادوا في التنظير لها، أو مواجهة الخطاب القديم، حتى أقصوا عن مواقعهم أو حرموا حتى من الكتابة. ونموذج ذلك جمال خاشقجي وعثمان صيني وغيرهما.

والمواطن الذي يتلقّى الإشارات المتناقضة والمزدوجة التي يتضمنها الخطاب الرسمي أصيب بدوار الرأس - وربما يكون ذلك مقصوداً - فلا يعلم أي اتجاه تسير عليه الدولة. فهل هي مع الإصلاحات، وهناك إشارات من الأقوال تفيد بذلك، في حين يرى إشارات عكس ذلك تماماً فمواقع المحافظين لازالت باقية ومدعومة بقوّة، والخطاب الرسمي لم يستنفذها بعد. ولذلك لا يدري هل يتفاءل أم يتشاءم ويصاب بالإحباط؟

لربما تكون حيرة المواطن من حيرة المسؤول نفسه. فغياب إرادة الإصلاح هي التي ترسل الإشارات المتناقضة في الداخل والخارج، حتى ان العديد من الدول لا تدري على وجه اليقين كيف تعالج الحكومة السعودية - على سبيل المثال - أزمة العنف، وتصديره وتفريخه. ولعلّ ما أفصح عنه المستشار الألماني شرودر في زيارته للسعودية في الخامس من أكتوبر الجاري، ومطالبته السعودية بوقف الجهات - الرسمية - التي تدعم عناصر متطرفة في بلاده، مؤشر على أن (الآخر) لم يعد يثق في دقّة (البوصلة) السعودية. هل هي باتجاه مكافحة العنف والإرهاب، وهذا يتطلب نمطاً من تغيير السياسات الدينية في الداخل والخارج، مضت فيه الحكومة السعودية لبضع خطوات حتى الآن، أم باتجاه تسكين النقد الداخلي والخارجي بممارسات هامشية استعراضية تبقي الوضع القديم على حاله؟

حتى هذه اللحظة، يبدو أن الحكومة السعودية لن تقدم على تغيير جوهري في سياساتها الداخلية. فالإصلاحات موّجلة في رحم الغيب، والأولوية لمكافحة العنف السلفي، وهو عذر لم يستنفذ بعد. وحتى إذا ما تحققت الإرادة السياسية بإصلاحات، فإنها ستكون جزئية لن تمسّ جوهر النظام وممارساته، ومثال ذلك ما يتوقع من إجراء (شبه انتخابات) بلدية، أو مناطقية، يستطيع المواطن - حسب الرؤية الرسمية - أن يقتات عليها لسنين قادمة!

الدولة: تحدي الهوية والمشروعية

الهوية والمشروعية هما جزئيتان متصاهرتان تسهمان بشكل كثيف في إرساء أسس العلاقة بين الدولة والمجتمع، بل قد يكون إحداهما مرآة عاكسة للأخرى، وإن الاخلال بأحديهما يؤدي بصورة تلقائية الى الإخلال بالأخرى.

فهوية الدولة بمكوّناتها دالة على درجة المشروعية الحائزة عليها، فمكونات الهوية تحدد المساحة التي تتمسرح عليها مشروعية الدولة، فإذا كانت هوية الدولة ذات مكوّنات مشتركة بين إجمالي السكان الاصليين، تكون مشروعية الدولة مكتملة والعكس صحيح أيضاً، بمعنى إذا كانت هوية الدولة مستخلصة من مكونات خاصة (الاقليم، القبيلة، المذهب) فإن مشروعية الدولة تقع داخل الفضاء الخاص بهذه المكوّنات.

فالشعور بالانتماء الى وطن يتحقق من خلال مشتركات عامة ثقافية وتاريخية ومجتمعية منصهرة في هوية الدولة، فهذه المشتركات تعكس نفسها بصورة طبيعية في الجهاز الاداري للدولة، وفي برامجها التنموية، وسياساتها العامة، وعليه تحقق في ذاتها شروط مشروعيتها، أي في أهليتها للحكم.

في تجربة الدولة السعودية، تم القضاء على الهويات الفرعية عبر تفكيك البنى الاجتماعية التقليدية، ولكن ليس لجهة تشكيل هوية وطنية عامة، بل لفرض هوية ذات مكوّنات خاصة (العائلة المالكة، الاقليم، المذهب)، وبالتالي فصلت هذه الهوية الخاصة الغالبية العظمى من السكان عن الدولة، وبالتالي فالشعور بالانتماء للدولة لم يضمحل فحسب، بل بعث الانتماءات الخاصة.

إن بزوغ الهويات الفرعية على حساب الهوية الكلية تمثل إحدى تعبيرات الرفض لهوية الدولة. فحين تفشل الدولة في بلورة هوية وطنية جامعة تقوم على الادماج الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، تجد الهويات الخاصة محفّزات قوية على الانبعاث.

وحين تؤسس الدولة مشروعيتها على مكوّنات شديدة الخصوصية، تفقد هذه المشروعية قدرتها على الصمود حين تضعف الدولة وتخضع مكوّناتها للفحص العام، إذ لو كانت مشروعية الدولة مستمدة ونابعة من مكوّنات وطنية لأصبح مصير الدولة ملتحماً بمصير الامة الممثل لها.

حديث ولي العهد عن ضعف الحس الوطني لكثير من أفراد الجيل الجديد يفصح عن أزمة الهوية وتالياً أزمة مشروعية الدولة، ولكن الانشغال بتشخيص جذور هذه الازمة وأسبابها مازال مستبعداً في التفكير الاستراتيجي للدولة. فأزمة الهوية تمتد بعمر الدولة السعودية وكذا الحال بالنسبة لمشروعيتها، لأن الدولة لم تقم على أسس وطنية، ولم تبشّر بثقافة مشتركة بين عموم السكان، بل كان هناك تأكيد مسرف على خصوصية الدولة، وأنها نشأت على دعوى الحق التاريخي للعائلة المالكة في ملك العباد والبلاد، وعلى الاعتبار الديني الذي جرى تفسيره بإسهاب على أنه إمتثال حرفي لأحكام الشريعة المستمدة من مذهب الامام أحمد بن حنبل، وعلى المكوّن الاقليمي/النجدي مركز نشأة السلطة والمذهب. هذه المكوّنات الخاصة مثّلت عوائق كبرى أمام الاندماج الشامل للجماعات غير الحاملة لتلك المكوّنات، وبالتالي لم تجد هذه الجماعات بدّاً من الالتصاق بالذات الخاصة، لأن في الهوية المفروضة عليها دحراً لمشاعرها وثقافتها وموروثها، ولأن الهوية الجديدة كاسحة وذات نزعة إستئصالية، ولذلك كانت ردود أفعال الجماعات الأخرى شديدة، فالإذعان لهوية مفروضة لم ولن تكون خيار هذه الجماعات وخصوصاً حين يراد تحقيقها عن طريق القوة والاذلال.

في ظل ضعف الدولة أصبحت الهويات الخاصة قادرة على التعبير عن نفسها بشكل صارخ أحياناً، إذ أن هوية الدولة إرتبطت بفترة إزدهار إقتصادي وسطوة أمنية، ولكن مع تآكل أسس الدولة الريعية وسقوط أسطورة القبضة الأمنية، أفقر هوية الدولة، وتالياً مشروعيتها. وللأسف الشديد، أن المعالجات الساذجة لأزمة الهوية في السعودية عن طريق منهج (الثقافة الوطنية) الذي أقرته الحكومة كمادة تعليمية في المدارس كانت أشبه ما تكون بصياغة ثانية للهوية الخاصة.

لا ندري على وجه التحديد ما إذا كانت هناك فرصة متبقية أمام الدولة ام لا، وذلك لإنتاج هوية وطنية جامعة تقوم على إستراتيجية دمج حقيقي للجماعات في الجهاز الاداري للدولة، تكون انقاذاً للهوية والمشروعية.

العلاقات السعودية ـ الأميركية من وجهة نظر السفير الأميركي في الرياض

قتل إبن لادن لا يحل المشكلة.. وأيديولوجية التطرف سعودية

يمضي روبرت جوردن السفير الأميركي في الرياض أيامه الأخيرة في السعودية، حيث أعربت الاخيرة عن عدم إرتياحها لوجوده بسبب مواقفه المتشددة من النظام السعودي، وتدخله في الشؤون الداخلية. فالسفير جوردن الذي تولى مهامه كسفير للولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأيام قليلة يعد من الشخصيات المقربة من الرئيس الأميركي الحالي جورج دبليو بوش، وهو محسوب على جبهة الصقور الذين يتبنون رؤية راديكالية في التعامل مع البلدان المصنّفة في قائمة الاصدقاء اللدودين للولايات المتحدة. ويعتقد جوردن بأن تغييرات جوهرية في النظام السياسي السعودي تمثل خياراً استراتيجياً يجب المضي فيه من أجل كسر شوكة التطرف. وقد نقلت مصادر محلية قبل فترة عن لقاء جمع السفير الأميركي وشخصيات إجتماعية ورجال أعمال في جدة تحدث خلالها السفير بأن هناك نية لدى الادارة الأميركية من أجل إحداث تغييرات في نظام الحكم، ولابد للجيل الثالث أن يحتل مكانة الجيل الثاني. ومما ذكره السفير في اللقاء بأن وزير الدفاع الأمير سلطان لن يكون ولياً للعهد حال موت الملك فهد وتولي الأمير عبد الله العرش، وهو ما أثار مخاوف لدى كبار الأمراء. وتنقل هذه المصادر بأن الأمير سلطان إستدعى أحد المشاركين في اللقاء وطلب منه تقريراً حول ما دار في اللقاء ثم أمره بنقل هذا التقرير الى الأمير عبد الله الذي قلل من شأنه ولم يعره إهتماماً، أو لربما أستقبله بإرتياح لما تضمنه من تأكيد على موقعيته كملك قادم وإزالة أحد خصومه الكبار.

نشير هنا الى أن المسؤولين في السفارة الأميركية في الرياض والقناصل التابعين لها في جدة والظهران يقومون بجولات مكثفة في المناطق، ويعقدون لقاءات مستمرة مع عدد كبير من الاهالي وبخاصة الناشطين السياسيين والاجتماعيين في محاولة لقراءة الوضع الداخلي كما يعكسه هؤلاء، وكيف يجب أن تكون السياسة الأميركية المستقبلية إزاء الوضع في السعودية. لقاءات المسؤولين الأميركيين في الداخل أثارت فزعاً لدى الأمراء الكبار والصغار، يعقبها في الغالب تحقيقات مع المشاركين في مثل هذه اللقاءات الروتينية التي تكثفت بصورة ملحوظة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بغية معرفة ما يدور فيها من موضوعات وماهي التصورات الأميركية


أميركا تدفع بسفيرها وقناصلها في السعودية للقاء الفعاليات المحلية، السياسية والثقافية

حيال الوضع الداخلي، وهل هناك (إتفاقات أو ترتيبات) من نوع ما بين المسؤولين الأميركيين والشخصيات السياسية والاجتماعية المحلية. وهذا أمر لاتخفيه السفارة الأميركية بل أن السفير الأميركي جوردون أشار في اللقاء الصحافي مع (الوطن) الى واحدة من تلك اللقاءات التي جمعته مع عدد من رجال الدين المحافظين وحسب قوله (لقد استمتعت كثيراً بالنقاش الذي قمت به مع بعض المحافظين المتدينين هنا في المملكة، وساعدني ذلك على فهم وجهات نظرهم. ولا يعني أنني أتفق مع كل شيء


غوردن: التطرف الديني في السعودية منتشر

يقولونه لكنهم على ما أظن يفهمون بشكل أفضل وجهة نظري حول بعض مواقفهم، وربما سنجد طريقة للعمل معاً في المستقبل).

المنظور الأميركي للعلاقة مع الرياض

اللقاء الصحافي الذي أجرته صحيفة (الوطن) السعودية في السادس من أكتوبر الحالي مع السفير جوردن عكس صورة شبه واضحة حول العلاقات السعودية الأميركية. فهو لم يخف حقيقة التوتر الذي يسود العلاقات بين البلدين منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واعتبر أن مرحلة جديدة وفي حقيقتها متوترة بدأت في علاقات الطرفين منذ ذلك التاريخ. فبعد أن كانت موضوعات العلاقة تتركز في محورين رئيسين وهما: النفط والدفاع، أصبحت هناك موضوعات أخرى مستجدة ساهمت في تعقيد العلاقة ولعل البارز منها هو موضوع الارهاب الذي أحدث هزة عنيفة في مجمل موضوعات العلاقة

الثنائية. فالأميركيون قد استيقضوا على وقع حقيقة مرعبة جاءتهم من بلد مثل لعقود الحليف الاستراتيجي الأشد التصاقاً بالولايات المتحدة، وأن كمية الكراهية المندفعة من داخل هذا البلد كانت كفيلة بإحداث هذا الدمار الذي لحق بواشنطن ونيويورك ونبّه (العملاق النائم) الى أن ثمة عملاً عاجلاً لابد من القيام به من أجل تحصين قارته المستقرة.

السفير حاول في مقابلته التعويض عن الصراحة والمباشرة بطرح الاسئلة المحمّلة بشكوك وإتهامات مبطّنة للسعودية والايديولوجية الدينية التي تساهم مؤدياتها الى صناعة جماعات إنتحارية قادرة على زعزعة الاستقرار تحت غطاء ديني. يشير السفير الى أن هناك إعادة تقييم لأشكال الاسلام السائدة في العالم في مسعى للتمييز بين المعتدل منها والمتطرف بعيداً عن الانفعالية التي سادت الموقف السياسي الأميركي، من أجل محاصرة وعزل الظاهرة الدينية الراديكالية، وهو في ذلك لا يحيد عن تحميل السعودية مسؤولية نشأة هذه الظاهرة وانتشارها في العالم بل ومسؤوليتها عن إختطاف الاسلام وفي إخفاء نموذج الاسلام المعتدل.

وفي الوقت الذي يؤكد فيه السفير الاميركي على المصالح الاستراتيجية بين البلدين، يشدد على أن هذه المصالح يجب وضعها في سياق التصور الأميركي الجديد الذي يرفض التعامل مع السعودية باعتباره حليفاً نزيهاً وشريكاً كاملاً. ولا يخفي السفير حقيقة التوجه الأميركي نحو فهم الواقع الاجتماعي والثقافي في السعودية جنباً الى جنب الواقع السياسي، فالأميركيون باتوا اليوم على قناعة بأنهم قصّروا كثيراً حين أغفلوا فهم التحولات الاجتماعية والثقافية الداخلية، ولذا يرون بأنهم بحاجة ماسة الى التعاطي مع كافة الشرائح الاجتماعية، والاقتراب من طرق تفكيرها، ومعرفة تطلعاتها بل والتفاهم معها، وصولاً الى صياغة رؤى محددة في التعامل مع الحكومة السعودية.

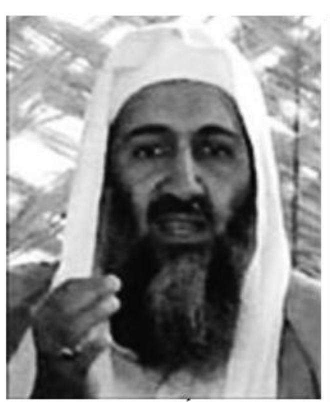
وفيما يبدو فإن الادارة الأميركية سائرة في منهج جديد في علاقاتها مع حلفائها في المنطقة، فالمفاجأة الكارثية في الحادي عشر من سبتمبر والتطورات اللاحقة، وعلى وجه الخصوص احتلال العراق والاستراتيجية الأميركية الجديدة لتغيير المنطقة خلقت معادلة سياسية شديدة التعقيد، وأن الحكومة السعودية يساورها القلق من مخطط أميركي قادم قد يؤدي الى ازالة السلطة. فالعلاقة التقليدية بين واشنطن والرياض أصبحت تاريخاً وهناك حسب ما يشير اليه السفير جوردن ضرورة للتفكير فيما اذا (كانت هذه العلاقة تخدم مصالحنا القومية أم لا).

محاولة تحميل القاعدة المسؤولية في تدهور العلاقات السعودية الأميركية لم تثن السفير الأميركي عن التصريح بأن هناك ثمة أموراً يجب أن تقوم بها الدولتان لمنع تكرار الحوادث، في إشارة ضمنية الى أن القاعدة هي منتج محلي، وتسهم الايديولوجية الدينية المتطرفة في توفير المكوّنات الاساسية لهذا المنتج، وإن حاول السفير التوسل بلغة دبلوماسية مواربة حين زعم بأن هناك الكثيرين من السعوديين قد أزعجتهم وصدمتهم أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فقد طالب السفير الأميركي الحكومة السعودية بموقف واضح في رفض (الأيديولوجية المتطرفة وأي نوع من الفلسفة المتطرفة التي تحاول

مخاوف سعودية من مخطط أميركي لتغيير النظام تحدث إرباكاً شديداً داخل العائلة المالكة

تبرير أي نوع من العنف ضد أي مجموعة من الناس) ويفسّر ذلك قائلاً بأنه (لدينا مواعظ وخطب لمتطرفين على أشرطة كاسيت, أو حتى في بعض المساجد من حين لآخر. وهذا تتم مداولته ومناقشته في أمريكا, وعندما يرى أعضاء الكونجرس والإعلاميون هذه الخطب والمواعظ يقولون: إذاً ... جميع السعوديين هكذا.. جميع السعوديين يشجعون على العنف ضد الأقليات الأخرى مثل المسيحيين واليهود، وأي شخص لا ينتمي إلى نفس المذهب الديني).

وكما هو واضح من سياق حديثه، فإن السفير هنا يبدد محاولة الحكومة السعودية الى تبرئة ساحتها وإعتبار التطرف نبتة خارجية، بل هو يحمّل ضمنياً الحكومة مسؤولية انتشار ثقافة العنف والتطرف في الداخل وأنها المسؤولة المباشرة عن نشوء جماعات العنف، وتالياً إنعكاسات ذلك سلباً على العلاقات السعودية الأميركية.


موته ليس حلاً للعنف في السعودية

السفير الأميركي يعكس موقف بلاده في موضوع مكافحة الإرهاب ويرى بأن قتل بن لادن والظواهري وترويض القاعدة ليس حلاً جذرياً للمشكلة، لأن هناك مصادر أخرى تغذي العنف وتخلق جماعات إرهابية وعليه لابد من أن (نستخدم كل ما في جعبتنا لنقطع الأوكسجين عنهم، وهذا يعني فهم فلسفتهم وأيديولوجياتهم التي يعملون تحتها سواء كانوا تحت تأثير تعليمي أو اجتماعي أو تأثيرات عائلية..). فها هو يعيد السفير تأكيد الصلة بين الارهاب والفكر الديني المصنّع محلياً ومسؤوليته في إنفجار الظاهرة الارهابية التي ستستمر حتى بعد القضاء على تنظيم القاعدة، فالمشكلة إذن تكمن في منظومة الفكر الديني الذي يروّج في التعليم، والمجتمع والعائلة. وفي بلد شمولي كالسعودية تصبح المسؤولية كاملة على عاتق الحكومة، وهي المتهم الأول.

رد الفعل الأميركي الحالي على الاسلام عموماً يثير دون ريب حفيظة وعواطف كافة المسلمين فهو رد فعل مشحون بنبرة كراهية ضد المسلمين في العالم قاطبة، ولكن ذلك لا يخلي مسؤولية السعودية ودورها في صناعة الصورة المشوّهة عن الاسلام وخصوصاً بعد الحادي عشر من سبتمبر، فالاحتجاج القائم على أساس كيف أصبح عليه رد الفعل الأميركي حيال الاسلام وأن الاسلام بات مهاجماً في

الاعلام الأميركي يبدو متهافتاً في مقابل انتقادات الأميركيين بأن المساجد تستخدم لمهاجمة اميركا. والسبب في ذلك، أن الاسلام لم يكن قبل الحادي عشر من سبتمبر يتعرض لهجمة اعلامية بالقدر التي هي عليه الآن، فقد كانت الولايات المتحدة نفسها مفتوحة أمام نشاطات اسلامية واسعة النطاق، تشهد على ذلك كثرة عدد المساجد والمراكز الاسلامية والجمعيات الخيرية، ولم يتعرض المسلمون الى مضايقات قانونية وملاحقات قضائية كما يفعل بهم الآن. وبالرغم من أن الاسلام أريد له منذ عام ١٩٩١ أن يكون الخصم الايديولوجي للغرب الا أنه لم ينعكس على أوضاع المسلمين ونشاطاتهم، وبالتالي فإن السفير يبدو مصيباً في هذه النقطة تحديداً حين شدد على أن الكلام في هذا الصدد يدور حول مفاهيم مسبّقة عن الآخر، أي الغرب والولايات المتحدة، وأن الحملة الاعلامية الأميركية على الاسلام جاءت كرد فعل على أحداث الحادي عشر من سبتمبر، رغم أن هذه الحملة تتسم بالتشدد والتعميمية الظالمة، وغير المقبولة من جانب الاغلبية العظمى من مسلمي العالم.

وقد إستغل السفير العلاقة الجدلية بين ما تضطلع به المساجد في بلادنا من مهمة ترويج أفكار التطرف والحملة الاعلامية الانفعالية ضد الاسلام في الغرب والولايات المتحدة ليوجه نقداً لاذعاً للحكومة السعودية، قائلاً: (إننا ليس لدينا أجهزة إعلام حكومية, ولا ندفع مرتبات لرؤساء تحرير الصحف، ولا ندفع مرتبات للرموز الدينية, وفي حالات كثيرة فإن المتطرفين الدينيين في أمريكا يتعرضون للسخرية من قبل أغلبية الأمريكيين, ولديهم عدد قليل جداً من المؤيدين..). إذ بدا السفير واضحاً في عقد مقارنة نقدية بين السعودية والولايات المتحدة، حيث تفرض الدولة السعودية سيطرتها شبه الكاملة على الاعلام والمؤسسة الدينية (التي تمارس عملاً اعلامياً جماهيرياً)، من خلال دفع مرتبات رؤساء الصحف وعلماء الدين، وهذا لا يعني أكثر من إتهام مبطّن للحكومة السعودية في إتجاهين: مصادرة حرية الاعلام، ورعاية التطرف وتمويله.

ويؤكد السفير رؤيته المسنودة ـ كما هو واضح ـ على معلومات حول التدابير الصارمة التي تتخذها السلطات السعودية ضد من يعربون في المحطات الفضائية غير المحلية عن آراء مختلفة. يقول السفير (أعتقد أنه أمر إيجابي جداً أن أصواتاً سعودية تخاطب الآن أجهزة الإعلام وتقدم لقاءات وتشارك في نقاشات تلفزيونية وصحفية. وأعتقد أن البعض يتعرض أحياناً لتجارب قاسية, ويتعرضون لما يشبه الاستجواب بصورة قوية حاليا. ولكنني أعتقد أنه عندما يخضع المرء نفسه لمثل هذا الاستجواب من قبل أجهزة الإعلام, فإنه يساعد على الإجابة على التساؤلات القلقة التي يتم التعبير عنها). فالسفير هنا يكشف عن قربه من الواقع المحلي وإطلاعه الواسع حول ما يجري في الداخل، كما يكشف أيضاً عن اللقاءات التي تجمعه بأصحاب الرأي الذين ينقلون صورة الوضع وما يتعرضون له من قبل جهاز الأمن التابع لوزارة الداخلية، والذي يفرض اجراءات صارمة على ظهور الشخصيات السياسية الوطنية على شاشة الفضائيات العربية وبالتحديد قناة الجزيرة.

رهانات السعودية على فشل أميركي في العراق وسقوط بوش في الانتخابات غير مضمونة

من الواضح تماماً أن السعودية أصبحت تنظر بريبة الى الولايات المتحدة، وأن النفط والدفاع لم يعد يشكلان عنصري قلق بالنسبة للادارة الاميركية، فإن التغييرات التي أحدثتها بعد إحتلال العراق في المجال الاقليمي قد أسقط من يد الحكومة السعودية الورقة النفطية كورقة سياسية تراهن بها في العلاقة مع اميركا. فالأخيرة ترى بأن المصالح المشتركة ضمّت الآن عناصر أخرى مثل مكافحة الارهاب وتمويل الارهابيين وموضوع السلام مع إسرائيل وهي أشبه ما تكون



غوردن: علاقاتنا متوترة مع السعودية

بالشروط الاميركية في العلاقة مع السعودية في الوقت الراهن.

ولكن ما يخيف القيادة السعودية فعلاً هو الهاجس المتنامي إزاء ما تعتبره مخططاً أميركياً لتغيير النظام في السعودية، فهذا الهاجس بات يحكم السلوك اليومي للمسؤولين والامراء الكبار في العائلة المالكة، وهو ما يدفع بهم الى إقتفاء آثاره والبحث عن دلائل عليه في الداخل والخارج. فالتحقيقات التي تجريها أجهزة الأمن مع مواطنين مشاركين في لقاءات مع مسؤولين أميركيين تتجه الى العثور على إجابة حيال جدية الادارة الإميركية في تنفيذ مخطط تغيير النظام في السعودية. ورغم نفي السفير الأميركي لوجود مثل هذا المخطط الا انه عبّر عن رأيه في الاصلاح السياسي المنتظر حيث يرى بأن عجلة الاصلاح تسير ببطء وهذا ما لاتريده الادارة الأميركية.

إن ما تعكسه محتويات اللقاء الصحافي مع السفير الأميركي في السعودية هو البون الشاسع الذي أخذ يفصل المصالح الاستراتيجية بين البلدين، وأن ثمة تحوّلاً عميقاً في سياستها الخارجية يدفع السعودية للتوجس من أن ثمة شيئاً مخيفاً يخفيه المستقبل. الرهانات السعودية باتت محدودة ومعروفة: فشل أميركي في العراق، فشل الرئيس بوش في الانتخابات الرئاسية القادمة، تغييرات دراماتيكية في ميزان القوى الدولي، ولكن هذه الرهانات غير مضمونة فضلاً عن كونها غير استراتيجية بالنسبة لدولة تشهد إهتزازات عنيفة في أوضاعها الداخلية سياسياً وأمنياً واقتصادياً.

حقوق المرأة السعودية

بين محرمات السياسة ومحرمات الأعراف

حديث الحقوق في بلد يحتفظ بأسوأ سجل في مجال إنتهاكات حقوق الانسان يثير جدلاً ساخناً، تتشابك فيه الرؤية الدينية، بالنزعة الايديولوجية، بالتكوين الثقافي، بالعرف الاجتماعي.. ويصل الجدل الى درجة الغليان حين يقترب المتناظرون من موضوع حقوق المرأة، فهنا يخضع الجدل الى إعتبارات وقيود بعضها مفروض من قبل النظام السياسي الذي يفرض حظراً عاماً على كافة طبقات المجتمع وفئاته من الدخول الى حلبة المشاركة السياسية. غير أن ما ينال المرأة من هذا الحظر هو أشد حيث تشارك قوى مضادة ثقافية ومجتمعية وسياسية في فرضه بسطوة.

فالثقافة المحلية مازالت أسيرة لبنية المجتمع الذكوري الذي يرى بأن ثمة قوامية ذكورية تقوم على أساس التعامل مع المرأة باعتبارها عورة، ناقصة، غير مؤهلة للقيام بأدوار مستقلة. وبذلك فإن المجتمع يمارس دوراً معاضداً أو بالأحرى نيابياً عن السلطة السياسية في إنتهاك حقوق المرأة، حتى أمكن القول بأن الدولة تستعين في أحيان كثيرة بالمجتمع على تنفيذ سياساتها من خلال التأكيد على ما تسميه بالأعراف الاجتماعية التي هي لا تؤمن بها ضرورة، وإنما تستعملها لتحقيق أغراض سياسية محضة.

إن التمييز على أساس النوع يعتبر جزئية أساسية في المجتمع السعودي، وهذا التمييز في شكله الصارم يؤثر بصورة تلقائية على حرية الحركة بالنسبة للنساء وعلى حصولهن على فرص تعليمية ووظيفية. فالمجتمع السعودي يفرض قيوداً اجتماعية متنوعة على السعوديات وهكذا الحال بالنسبة للاجنبيات. وهذه القيود تبقي النساء محاصرات ضمن حدود ضيقة يقررها ويديرها الرجال. فالسعوديون يزعمون بأن هذه القيود على النساء تتوافق مع المبادىء الدينية الاسلامية، وفي حقيقة الأمر تلعب الأعراف الاجتماعية دوراً أكبر في فرض هذه القيود. فالأحكام الاسلامية والتقاليد لا تفرض عوائق صارمة كالتي تفرضها الحكومة والمجتمع على مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية، وخصوصاً التحديات التي تواجهها داخل بلادها. فكثير من الاعراف الاجتماعية في السعودية تعامل النساء بصورة تختلف عن الرجال، لا على أساس إملاءات دينية خالصة وإنما تسهم الثقافة الذكورية في أحيان كثيرة في إرساء مفاهيم خاصة للنظرة إزاء المرأة ودورها في الحياة العامة.

ولكن ومن أجل إرضاء المحازبين الدينيين المحافظين فإن الحكومة تقوم بتشديد قيودها على المرأة في مجالات عديدة، بما يشمل التعليم والصحة، وهما المجالان الوحيدان المسموح للنساء بالحصول على فرص وظيفية فيهما. يجب الاشارة هنا الى أن ثمة توافقاً دينياً وسياسياً وإجتماعياً على تخفيض حقوق المرأة وتأطيرها في مجالات محددة، وأن الاصوات المطالبة بمنح المرأة

استغلال الحكومة للأعراف الاجتماعية يمثل إحدى وسائل انتهاكات حقوق المرأة

السعودية حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية مازالت غير مسموعة وتطلق غالباً في أروقة خاصة، وفي أوساط منفصلة عن الحياة العامة التي يجب أن تصل اليها الاصوات. يجدر القول هنا الى أنه حتى الآن لم تتشكل جمعية نسائية حقوقية تتصدى للدفاع عن حقوق المرأة، كما لم ترفع عريضة نسائية أو ذات صلة بحقوق النساء الى القيادة السياسية في البلاد. فمازالت حقوق المرأة ترد كجزئية ضمن عرائض يرفعها الرجال وإن ضمت بين موقعيها عدداً من النساء، إذ مازال ينظر الى مشاركة المرأة في العرائض بإعتبارها تعبيراً عن التزام الموقعين على المبادىء الحقوقية المتعارف عليها دولياً وتأكيداً لمصداقية المطلب الحقوقي الذكوري، وتحقيقاً لفائدة إعلامية خارجية، وهذا لا يسقط قناعة الموقعّين الذكور بحقوق المرأة كجزء من قائمة المطالب الاصلاحية. الا أن ما نود الاشارة اليه هنا أن النساء في بلادنا مازلن لم يتحررن من الثقافة الذكورية التي تحول دوّن تشكل بؤر نسائية قادرة على الاضطلاع بنشاطات مطلبية مستقلة، وهكذا صياغة خطاب حقوقي نسائي يجعلهن أقدر على التعبير عن أنفسهن بدرجة واضحة.

المرأة السعودية في التقارير الحقوقية الدولية

تكاد تتفق تقارير المنظمات الدولية الخاصة بحقوق الانسان على أن المرأة السعودية تمثل نموذجاً فريداً في سياسات الاضطهاد القائمة على الجنس (ذكور/إناث). هذا الإضطهاد القائم على أضلاع متعددة: سياسية وثقافية واجتماعية، يأتي في ظل تواضعات محلية على إعتبار حقوق المرأة جزءا اعتيادياً وغير جدير بالاهتمام والملاحظة، وخصوصاً حين ينظر اليه في سياق نقص الوعي الحقوقي وسط النساء السعوديات الذي ساهم بدرجة كبيرة في تكريس الاختراقات المتكررة ضد حقوق المراة، لم يغير في ذلك انضمام الحكومة السعودية الى معاهدات دولية خاصة بحقوق المرأة، فهذه الخطوات لم تسفر عن تغييرات ملحوظة في مجال حقوق المرأة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فمازال يحظر على النساء التشكل ضمن جمعيات حقوقية تدافع عن حقوقهن، وتدفع عنهن الانتهاكات المتواصلة، أو التي تمنحهن القدرة على مجرد الابلاغ عن شكاوى خاصة بهن الى الحكومة والمنظمات الدولية.

وبحسب التقارير الدولية فإن السعودية مازالت تمتنع عن التوقيع على عدد من المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق المرأة ومنها ازالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، والاتفاقية المتعلقة بحقوقها السياسية،

وإتفاقية التجنيس الخاصة بالمرأة المتزوجة، والاتفاقية الخاصة بالموافقة على الزواج، والسن الأدنى للزواج وتسجيل الزواج.

رغم أن شهادة المرأة بحسب المحاكم الشرعية تعتبر ناقصة بالقياس الى الرجل، الا أنه في غياب شاهدين ذكرين، أو أربعة شهود في قضايا الزنا، فإن الاقرارات أمام القاضي تتطلب دائماً دعوى جنائية، وهو وضع طالما أدى الى أن تقوم السلطات الى انتزاع الاعترافات من المتهمين عن طريق التهديد والاساءة. إن الاجراءات الخاصة بالنساء في قضايا الطلاق والشؤون العائلية تتم عموماً عن طريقة نيابة المرأة لذكر قريب يقوم بتولي تمثيلها امام المحاكم.

وتؤكد التقارير الحقوقية على أن الحكومة لا تحتفظ باحصائيات رسمية حول عدد حالات الاساءة التي يرتكبها الازواج أو الاشكال الاخرى من العنف ضد المرأة. وعلى أية حال، فإنه إستناداً الى معلومات متوفرة حول الاساءة البدنية والعنف الذي يرتكبه الرجال ضد النساء يظهر بأن العنف والاساءة البدنية تمثل مشاكل شائعة. ينقل موظفو المستشفيات بأن عدداً كبيراً من النساء قد جرى إدخاله للمستشفى للعلاج من آثار العنف الذي تعرض له على أيدي الازواج. إن الرجل السعودي قد يمنع زوجته أو أياً من أبنائه ولاسيما البنت غير المتزوجة من الحصول على تأشيرة لمغادرة البلاد. وأن السفارات الأجنبية مازالت تتلقى عدداً كبيراً من التقارير حول السلوك السيء الذي يقوم به أرباب العمل ضد النساء الاجنبيات اللاتي يعملن كخادمات. وتحتفظ بعض سفارات الدول ذات الاعداد الكبيرة من الخادمات المحليات بيوتات للإيواء حيث يمكن لمواطنيهم اللجوء اليها حال تعرضهم للحبس القهري، أو الحرمان من الأكل، أو الضرب أو أشكال الاساءة الأخرى، والاغتصاب. وغالباً ما تكون الاساءة المبلغ عنها في يد مواطني الخادمة. وبصورة عامة فإن الحكومة تأخذ في إعتبارها بعض الحالات المتعلقة بالشؤون العائلية ولا تتدخل الا حين تكون هناك إتهامات بالاساءة مثيرة للاهتمام. إن من المستحيل على النساء الاجنبيات الحصول على مساواة في المحاكم، بموجب القوانين الصارمة المفروضة من قبل المحاكم، إضافة الى المخاوف لدى النساء من الانتقام. إن هناك قلة من أرباب العمل ممن نالوا عقابهم جراء إساءة التعامل مع الخادمات. فليس هناك جمعيات مساندة خاصة أو مؤسسات دينية لمساعدة مثل هؤلاء النسوة.

فبموجب القانون الديني والتقليد الاجتماعي، فإن النساء لديهن الحق في التملك العقاري وأنهن مؤهلات لتلقي الدعم المالي من أزاوجهن أو أقارب أزواجهن حال غياب الازواج. وعلى أية حال، فإن للنساء حقوقاً سياسياً وإجتماعية قليلة، وأنهن يعاملن كأعضاء غير متساويين في المجتمع. فليس هناك جمعات حقوقية نسائية، وأنه لا يحق للمرأة قانونياً سياقة السيارة، وأن هناك قيوداً صارمة مفروضة عليهن في إستعمال الخدمات العامة جنباً الى جنب الرجال، حيث يفرض على النساء إستعمال مداخل خاصة في الباصات العامة وغالباً ما تكون في الخلف، وأن يجلسن في مواقع مخصصة لهن. وأن هناك مخاطر إعتقال النساء من قبل المطاوعة لركوب سيارة يقودها ذكر ليس موظفاً أو قريباً لدى العائلة. كما أن النساء لا يدخلن للمستشفى لتلقي العلاج الطبي بدون موافقة الزوج أو القريب/الذكر، كما أنه وبموجب القانون والعرف، فإن النساء لا يحق لهن السفر داخلياً وخارجياً بمفردهن.

في عام ١٩٩٩ أعلن وزير الداخلية الأمير نايف بأن هنك تحضيرات لاصدار بطاقات خاصة بالمرأة، والتي اعتبرت خطوة باتجه

التعيينات السياسية والاكاديمية الهامشية للمرأة محاولة خادعة للرأي العام الخارجي

السماح للمرأة بحصولها على هوية قانونية مستقلة عن الرجال. وعلى أية حال، فإن الوزارة أعلنت في أغسطس عام ١٩٩٩ بأن نظام توثيق الهوية الحالي للنساء سيتم التحفظ عليه مدة ثلاث سنوات، وعليه فإن بطاقات الهوية لن تصدر قبل مرور المدة.

في الاماكن العامة، يكون لباس المرأة عبارة عن عباءة تغطي الوجه والكفين، وان المطاوعة يتطلعون الى أن تلتزم النساء من دول عربية أخرى، وآسيا وأفريقيا بتقاليد الزي السعودي أكثر مما هو عليه حال النساء الغربيات، بيد أنه في السنوات الاخيرة فإنهم قاموا بإلزام النساء الغربيات بلبس العباءة وأن يقمن بتغطية شعورهن ايضاً، وخلال عام ١٩٩٩ فإن المطاوعة واصلوا اكراه النساء على لبس العباء وتغطية شعورهن.

إن النساء السعوديات مازلن يخضعن للتمييز بإسم الشريعة بحسب التفسير الرسمي، والذي يتم تطبيق أحكامها بحرفية صارمة دون مراعاة لتبدل الزمان وتجدد الحاجات. وفيما تمنح الشريعة النساء أساساً قانونياً لامتلاك وبيع العقار بصورة مستقلة، فإن النساء غالباً ما يتعرضن للتقييد من قبل تأكيد حقوق كهذه بسبب الموانع المجتمعية والقانونية المختلفة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالتوظيف وحرية الحركة.

كما أن النساء مطالبن بتقديم تبريرات قانونية محددة للطلاق، فيما يمكن للرجال الاقدام على الطلاق بدون إعطاء سبب واضح. في هذا الصدد، فإنه يطلب من الرجال دفع الحقوق المالية فور الاتفاق على الزواج. أما بالنسبة للنساء فإنهن في حال جرى تطليقهن وفق تبريرات مقبولة لدى المحكمة فإنهم يحصلن على مبلغ مالي التعيينات السياسية والاكاديمية الهامشية للمرأة محاولة خادعة للرأي العام الخارجيخاص بعدة الطلاق. بالنسبة للمطلقة أو الأرملة، فإن المرأة المسلمة يمكنها الاحتفاظ بالابناء حتى بلوغهم سناً معينة: سبع سنوات للولد، و٩ سنوات للبنت. أما الاولاد الذين تفوق أعمارهم هذا السن فإنهن يمنحن للزوج المطلق، أو الى عائلة الزوج المتوفى. عدد من النساء الاجنبيات المطلقات بقين محرومات من قبل أزواجهن السابقين من زيارة أبنائهن بعد الطلاق.

ورغم أن الاناث يمثلن ٥٨ بالمئة من طلبة الجامعات الا أنه لا يسمح لهن بدراسة تخصصات مثل الهندسة، والصحافة، والفن المعماري. من جهة ثانية، فإن فرص العمل المتاحة للاناث تكاد تنحصر في التعليم والصحة، مع فرص أقل في التجارة، والقضايا الانسانية، والبنوك (بشكل محدود) وبيع الجملة والصحافة. بالنسبة للنساء اللاتي تلقين تعليمهن في الخارج في مجالات الاعلام والفن المعماري يحصلن على وظائف ولكن محدودة. في عام ١٩٩٧ سمحت الحكومة للمواطنات بالعمل في مجال الفندقة ولكن بصورة محدودة، أما أولئك اللائي يحاولن الدخول في مجالات غير تقليدية فإنهن يخضعن للتمييز. حيث أن النساء يشكلن نسبة ٥ بالمئة فقط من قوة العمل المحلية ويحزن على نحو ٢٠ بالمئة من الاعمال التجارية، رغم أنهن مطالبن قانونياً بتوكيل أقرباء ذكور لهن لتمثيلهن في المعاملات المالية.

في سبتمبر عام ١٩٩٩ وقّع ولي العهد الأمير عبد الله معاهدة الامم المتحدة الخاصة بإزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، مع تحفظات حول جوانب المعاهدة والتي تعتبرها الحكومة متعارضة مع الشريعة

الاسلامية. الا أن انضمام السعودية لهذه المعاهدة لم يعكس تطوراً ملحوظاً في مجال حقوق المرأة، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. يكفي في ذلك موضوع سياقة المرأة للسيارة والذي دار جدل طويل ومحموم حوله خلال أكثر من عقد من الزمن، فإن الحكومة مازالت تتعامل معه بحساسية شديدة وفي الغالب ترفض البت فيه خشية إثارة التيار الديني المتشدد.

وكانت تقارير من منظمات حقوق الانسان ومنظمة العفو الدولية تحدثت عن أن السعودية تقمع دور النساء اللائي يشكلن ٤٧ بالمئة من فعاليات المجتمع السعودي. وطالبت هذه التقارير الحكومة السعودية بدور للمراة في التشغيل في كل المواقع العامة، وعدم تخفيض دورها الأمر الذي سيؤول الى مشكلة إقتصادية حيث أن (نصف المجتمع مشلول). وأكدّت التقارير على أن السعودية اذا ما قررت البدء بإصلاحات عملية فإن عليها منح المرأة قدراً من الحقوق للمشاركة في عملية البناء، إذ (أن النساء السعوديات قادرات على المهمات التي تفوّض إليهن في أي مجال سواء كان متعلقاً بالاستثمار أو الاعلام أو السياسة).

الحكومة والديكور الانثوي

تزايدت الضغوطات المحلية والدولية على الحكومة السعودية في الآونة الأخيرة بخصوص الانتهاكات التي تتعرض لها النساء، والتغييب المتعمد لهن من المشاركة في حقول الحياة المختلفة. نشير هنا الى أن شروطاً أبلغت للحكومة السعودية قبل أقل من عام من أجل تحقيقها قبل الموافقة على إنضمام السعودية لمنظمة التجارة العالمية وكان من بينها تحسين ظروف المرأة وإيلائها دوراً أكبر وعلى وجه الخصوص المشاركة السياسية للمرأة.

تجدر الاشارة الى أن وزير الخارجية السعودي واجه خلال زيارته للولايات المتحدة إنتقادات حادة وأطلقت نداءات بمنع مشاركته في مؤتمر في ديترويت لأنه يمثل حكومة تمارس تمييزاً سياسياً ضد المرأة، مما إضطر الى التصريح بأن حكومته ستقوم بتعيين إمرأة في الوزارة دون ذكر تفصيل حول طبيعة هذا المنصب، رتبته، وتوقيته.

وكانت الوزارة قد واجهت حملة صحافية في بريطانيا والولايات المتحدة حول أوضاع المرأة السعودية ودورهن الغائب في المجال السياسي. وفي رد وزارة الخارجية على تقرير صحيفة (أوبزرفر) اللندنية في الخامس من أكتوبر، أعلنت الوزارة عزمها على توظيف ٤٠ إمرأة سعودية كخطوة أولى في أعمال الترجمة والتحليل السياسي والاقتصادي. وكانت صحيفة (عكاظ) قد نقلت في السابع من أكتوبر عن مصادر رسمية لم تفصح عن هويتها بأن هناك عملاً يجرى حاليا على إحداث قسم نسائى داخل مبنى ديوان الوزارة بالرياض روعيت فيه - حسب الصحيفة - كل الضوابط الشرعية والخصوصية الاجتماعية لعمل المرأة وأن القسم سيباشر مسؤولياته خلال الشهرين أو الثلاثة الآتية. وتحدثت الصحيفة نقلاً عن المصادر تلك بأن المواصفات المطلوبة لتوظيف المواطنات في العمل الدبلوماسي أمر يخضع للمسابقة الوظيفية والضوابط التي ستحددها وزراة الخدمة المدنية فيمن سيشغلن تلك الوظائف.



متى يصبح هذا واقعاً في السعودية؟

مزاعم إقتفاء الشريعة الاسلامية في مجال حقوق المرأة لا تتطابق مع الرؤية الاسلامية العامة

وفي سياق رد الفعل السعودي على الحملة الاعلامية التي تواجهها في الخارج حول إنتهاكات حقوق المراة، فإنه تم الاعلان عن تعيين امرأة كعميدة في جامعة. وكان متحدث باسم الجامعة العربية المفتوحة صرح في الرابع من أكتوبر الحالي بأن مها عبد الله العرقوبي قد تم تعيينها عميدة لفرع الجامعة في مدينة جدة. وقد اعتبر التعيين من قبل بعض المراقبين بأن ذلك خطوة معبّرة على مشروع اللبرلة التي تنوي الحكومة البدء به وذلك بعد أيام من قيام مفكرين وناشطين سياسين بالمطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية. ورغم ما حظي به الاعلان هذا من زخم اعلامي في الخارج الا أنه جرى إستقباله بفتور بالغ في الداخل حيث أن المسافة الفاصلة بين تطلعات المرأة السعودية والاستجابة الحكومية البطيئة تجعل من هذه الخطوة غير كافية، فضلاً عن أن هذا المنصب محسوب على جامعة غير سعودية، وإن كان المموّل لها سعودياً.

وعليه فإن هناك شكوكاً كثيفة تحيط بخطوات الحكومة في مجال إشراك المراة في الحياة العامة، حيث أن هذه الخطوات مازالت دون المستوى الطموح الذي بلغته تطلعات النساء في مجال المشاركة الفاعلة والحقيقية في العمل السياسي. فهذه الوظائف ذات الطابع التقني المحض تبقي على حالة التمييز ضد المرأة، ولا تحقق أكثر من تهدئة للانتقادات الواسعة التي توجهها منظمات حقوقية دولية وصحف وحكومات في الخارج ضد الحكومة السعودية. وهذا بالتحديد ما دفع الحكومة السعودية للقيام به من خلال إرسال أربع سيدات سعوديات للمشاركة في أعمال البرلمان الأوروبي، حيث أنيط بهن مسؤولية القيام بحملة دعائية لصالح الحكومة السعودية لاظهار أن هناك مشاركة نسوية فاعلة في الحياة السياسية المحلية، رغم أنه لا يوجد حتى الان إمرأة واحدة بين أعضاء مجلس الشورى، فضلاً عن المؤسسات السيادية الأخرى كمجلس الوزراء مثلاً، فمازال هناك مشوار طويل أمام النساء من أجل قطعه للوصول الى مراتب سياسية تتطابق مع مضامين التصريحات السعودية في الخارج. وبالتالي فإن النصف المشلول من المجتمع سيبقى كذلك مالم تقدم الحكومة على إصلاحات جوهرية وشاملة، وما لم تتبلور حركة حقوقية نسائية تفرض نفسها على المجتمع والحكومة.

دور المذهبية في إضعاف السياسة الخارجية السعودية

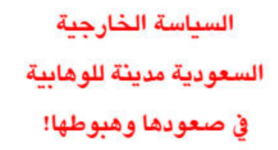
ارتبطت السياسة الخارجية السعودية بالعنصر الديني منذ نشأتها، فكان الملاحظ عليها مذ نشأت الدولة أنها اعتمدت على المذهبية الوهابية في تصنيف الدول، أي على أساس القرابة الدينية فيما يتعلق بالدول العربية والإسلامية لا على أسس الدين الجامع (الإسلام) والمصالح المشتركة وحسن الجوار. وكان الهدف الديني السعودي عنصراً متميزاً في تأكيد مبادئ الدولة، ولكن هذا لا ينطبق بأية حال على الغرب، أي على العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانياً مثلاً. فالدين لم يكن فاعلاً أو مؤثراً في تلك العلاقات، وإنما استخدم الدين ضد الأقربين تصنيفاً واختراقاً!

واحدة من أهداف السياسة الخارجية السعودية كان ولايزال ـ حتى إشعار آخر ـ مرتكزاً على نشر المذهبية الوهابية، فالسعوديون ومنذ نشأت دولتهم الحديثة، رأوا أن من واجب (الدولة الدينية)، أن تقوم بنشر المذهب، فهو بالنسبة لهم العربة التي تأتي بالولاء السياسي والنفوذ الديني في الخارج، وكأنهم يحيون تجربتهم الداخلية ويعكسونها في علاقاتهم مع الآخر، مع أنها تجربة فاشلة في جوهرها. ولهذا تم توظيف الدين بفعالية في السياسة الخارجية، ليس من زاوية مكافحة الشيوعية، إرضاءً للغرب وبالخصوص الولايات المتحدة في صراعها الكوني مع الشيوعية والإتحاد السوفياتي، وإنما تم توظيف الدين في نطاقه الضيّق ضد جيران المملكة على أسس طائفية، وخاصة في العراق وإيران، في مختلف العصور والعهود، بغض النظر عن طبيعة النظم القائمة هناك. فهذان البلدان هما المسرح الذي يمكن للباحث أن يقرأ الرؤية المذهبية السعودية ودورها في السياسة الخارجية.



الوهابية: وجه متطرّف داخلياً وخارجياً

بالنسبة لإيران مثلاً، فإن وجود حليف للغرب كالشاه لم يغيّر من الموقف كثيراً، ليس لأن أطماع الشاه لا تحدّ، أو أنه كان منافساً في الإطار الإقليمي لدور السعودية في تحقيق ما كان يعرف (أمن الخليج). ذلك أن الولايات المتحدة ـ وفي عهد نيكسون ـ ابتدعت سياسة العمودين المتساندين (ايران والسعودية) لتحقيق الأمن في الخليج ومكافحة



السياسة الخارجية السعودية مدينة للوهابية في صعودها وهبوطها!

النزعات اليسارية في دول الجوار.. وإنما كان السعوديون يربطون بصورة غير منطقية هواجسهم المذهبية بالفعل السياسي، حتى في فترة مكافحة بعث العراق، حين اشتركت الدولتان إيران الشاه والمملكة في إخماد الحركة الكردية بعد أن دعمتاها حتى توقيع اتفاقية الجزائر ١٩٧٥.

وللحق، فإن السياسة الخارجية السعودية مدينة لعنصرها الديني في صعودها كما في هبوطها. في صعودها استطاعت حشد التيارات الدينية وبينها شخصيات وحركات إسلامية من كل بقاع العالم العربي والإسلامي.. حشدها في البرنامج الأميركي ضد الشيوعية.

وحين تحوّل الخطر مذهبياً بعد سقوط الشاه، لم تجد السعودية صعوبة في تحويل ذلك النشاط أشخاصاً ومؤسسات ضد إيران، فالأرضية كانت مهيأة لكل ذلك، بسبب النزعة السلفية التي فرضت على الخطاب الديني.

وإذا كانت المؤسسة الدينية المحلية الوهابية أبدت قدرة ضعيفة في التفاعل مع متطلبات مكافحة الشيوعية لقصور فيها، فاعتمدت السياسة الخارجية عناصر خارجية.. فإن تلك المؤسسة المحلية الوهابية استثيرت طائفياً في أعقاب سقوط الشاه، وهي التي قامت بالنقلة النوعيّة من تحويل النشاط الديني السعودي العالمي الذي كان في ظاهره معتدلاً، الى نشاط طائفي صرف وبصورة حادّة. لقد سيطر الوهابيون المحليّون على ما بُني من مؤسسات أثناء حرب الشيوعية، ونخلوا الموجود من الحلفاء، ووجهوا المعركة طائفياً كما أرادتها الحكومة السعودية تماماً. ومنذ بداية الثمانينات، يمكن القول أن التحوّل في التوجه الديني السعودي الخارجي، ذي النزعة الطائفية الضيقة، هو الذي جعل العنصر الديني يلعب فيما بعد دوراً عكسياً في إضعاف السياسة الخارجية السعودية، وجعل وجهها كالحاً بين

العالم.

لقد تخلت العناصر الخارجية الدينية المدعومة سعودياً عن دورها، أو أُقيلت، وحلّ محلّها العنصر السعودي المحض، أي العنصر الوهابي ـ المناطقي في الغالب ـ وهو اللصيق جداً برموز الحكم، وبالتالي أصبحت تصرفات هذا العنصر محسوبة وبصورة مباشرة على نظام الحكم نفسه.

لقد طرأ التحوّل على العنصر السعودي في أفغانستان، وهناك أعيد تشكيل ذهنيته، التي ساهم فيها ممارسة العنف ـ الجهاد ـ وما أن انتهت الحرب في أفغانستان، حتى أصبح العنصر السعودي ممثلاً لأزمة بالنسبة للحكومة ولسياستها الخارجية. لقد اندفع العنصر الديني السعودي في اتجاه مخالف لمراد الحكومة، وأصبح يعمل في أكثر الأحيان بشكل مستقلٍ عنها، حاولت الحكومة ترويضه بالإقتراب منه ودعمه ومن ثمّ وضع الكوابح له لكن ذلك لم يفد في المدى القريب أو البعيد، بل استغلت العناصر المذهبية ذلك الدعم لتؤكد استقلاليتها وتبني على الدعم الحكومي قواعد انطلاق جهادية في كل أصقاع الأرض.

فجأة وجدت الحكومة السعودية نفسها متهمة، حتى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر. متهمة بالتآمر على دول مختلفة في دول آسيا الوسطى، حيث اتهم سعوديون بالإعداد لإنقلابات، وبتوتير الأوضاع الإجتماعية سواء في طاجكستان أو غيرها. وفي روسيا نفسها وجدت الحكومة السعودية في العناصر السعودية التي تشارك في حرب الشيشان أداة توتير للعلاقات مع الدولة الروسية لم تحلّ حتى اليوم رغم زيارة الأمير عبد الله الأخيرة. ذات الإتهامات وجه لدور السعودية في الحرب الأهلية في الجزائر بدعم عناصر التشدد السلفي، وكذلك في مصر التي أفاضت صحافتها في الإتهامات للسعودية، وحتى في باكستان التي كانت من أكثر الدول تعرّضاً للهجمة السلفية الوهابية، والتي نرى نتائجها في معارك مذهبية دموية تجري بين الحين والآخر.

وشيئاً فشيئاً بدأ الحديث يدور حول (الوهابيين) وحول (الوهابية) ودورهما التخريبي في العديد من الدول. وأصبح النشاط السلمي القديم الذي استنفذ أغراضه في مكافحة الشيوعية يطرح علامات استفهام في دول عربية وأجنبية، وصار ينظر إليه بعين الريبة.

وما أن وقعت أحداث نيويورك وواشنطن، حتى تحركت الدول التي يتواجد فيها نشاط ديني أو إغاثي سعودي لرصد فعلهم، ومراقبة تحركاتهم. بل حتى العناصر التي والت النظام السياسي لأسباب مالية أصبح ينظر اليها بعين الشك. المساجد والمراكز وغيرها المبثوثة في كل الدنيا أصبحت عبئاً على كاهل السياسة الخارجية السعودية التي تواجه الإتهمات بالنفي وأن لا صلة لها بها، وهي في أكثر الأحيان تعلم أن خيطاً ما مالياً أو فكرياً يربط الجماعات والتوجهات السلفية بها.

السلفيون أحدثوا نقلة نوعية في صورة النشاط الديني السعودي من الإعتدال الى التطرف

في مصر، موريتانيا، بريطانيا، ألمانيا، أميركا، الباكستان، فرنسا، الجزائر، العراق، الأردن، الشيشان، أفغانستان، أندونيسيا، الفلبين، السودان، اليمن، دول الخليج عامة.. الخ. كل هذه الدول أدركت بأن ما يأتي من السعودية هو الشرّ بعينه، وكل هذه الدول أخذت أو تسعى لأن تحدّ من ذلك الشر القادم من السعودية.

وبهذا فقدت المملكة رصيدها السياسي الذي ابتنته على أكتاف الدين ـ الوهابية، وأصبح ما أنفقته على الولاء السياسي المرتكز على خلفية طائفية مذهبية عنصر توتير في علاقاتها مع الآخرين. في الماضي كانت الحكومة السعودية تدعم كل التيارات السلفية في العالم، وهي لاتزال تفعل بالنسبة للبعض حتى اليوم. ولكنها تجد نفسها الآن مجبرة على تخفيض الدعم وإعلان النفرة من التيار ومن نشاطاته. بيد أن القضية أكبر من أن تحل بإعلان براءة ساذج. فما تمّت تربيته من تطرّف ليس بإمكان الحكومة السعودية اليوم ولا مؤسستها الدينية لا التنازل عنه ولا كبح جماحه، حتى ولو أوقفت الدعم.



عنف سعودي مستورد

لقد شبّ الأتباع عن الطوق، وصارت لديهم مصادرهم المالية وأخذوا يتحركون باستقلالية. لا شك أن الدولة الممولة يمكن الضغط عليها، ولكن هل يمكن إخماد الفكر أو إعلان التنازل عنه، وهل يمكن منع التجار السلفيين من دعم (الجهاديين) في كل مكان.

يمكنك اليوم ملاحظة حقيقة أن هناك سلفيين موّلوا وتربّوا فكرياً في السعودية وكانوا موالين لها، أصبحوا اليوم ضد النظام الوهابي ومؤسسته الدينية ولكنهم في نفس الوقت دعاة للوهابية وممثليها المتطرفين في كل مكان.

الدين سلاح يمكن استخدامه من قبل أية جهة أو نظام أو فرد. هكذا يعلمنا التاريخ. ولكن في نفس الوقت هو سلاح قابل للإرتداد على مستخدميه في أي وقت. ومشكلة ال سعود اليوم هي أن الدين أصبح في حال ارتداد ضدهم بعد أن خدمهم في مشروعيتهم وفي تصدير ثقافتهم وكسب الولاء لهم.

ملف

العلاقات السعودية الروسية وإرث الحجاز المُحتلّ

(٢-٢)

نشأت العلاقات السوفياتية ـ السعودية صدفة! فقد احتل السعوديون الحجاز ووجدوا الروس هناك يبادرون فيهنؤون! وبعد ثلاثة عشر عاماً، وبعد فشل الملك السعودي في (بيع) الوجود الروسي في الحجاز مقابل مساعدات بريطانية، تمّ قطع العلاقات بين البلدين عام ١٩٣٨ لتعود العلاقات من جديد بعد نصف قرن تقريباً أواخر الثمانينيات وبعد تفكك الإتحاد السوفياتي نفسه. ومنذئذ وحتى بداية سبتمبر ٢٠٠٣ لم تكن العلاقات بين جدة وموسكو متميزة بل كانت أقلّ من عاديّة، فهل هذا المختصر المبسط للعلاقات يمكن أن يتحوّل الى تحالف استراتيجي بين البلدين؟ وهل يفيد في حماية النظام السعودي الذي بدأ يترنّح بسبب المشاكل البنيوية ذات الإنعكاسات شديدة الخطر، والتهديدات الغربية الخارجية؟

جدل حول الثمن: الإعتراف المصري باحتلال الحجاز

تفتقت عقلية المندوب السامي في القاهرة (اللورد لويد).. فاقترح على حكومته إجبار الملك فؤاد على الاعتراف بابن سعود ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتهما. ففي رسالة بعثها لوزير الخارجية في ١٩٢٩/٦/٥م، أشار الى مهمة اعتبرها مشبوهة قام بها الأمير شكيب أرسلان في الحجاز، والى الهدايا التي يقول عنها لويد (مصدرها ـ بلا شك ـ موسكو) والتي يحملها شكيب لإبن سعود! إذا كانت قائمة المشبوهين لدى الإنجليز والتي تحوي أسماء العناصر العميلة للروس، تحوي اسم شكيب أرسلان، فمن الذي يبقى ولم يرد اسمه في هذه القائمة؟!

في تلك الرسالة قال لويد: (إذا ما أظهرنا ردا سلبيا ونحن نبحث مبادرات التقرب التي يقوم بها ابن سعود، فلن يكون من الصعب تصور ظروف الإحراج الداخلي التي قد تدفع ابن سعود ـ بعد أن يكون قد يئس من أي مخرج آخر ـ لأن يستسلم للإغراء البولشفي، ويقبل الذهب الروسي الذي سيوفر له الانفراج، ولو أنه فعلا انفراج مؤقت، وعلى حساب نكبة ستحل عليه في نهاية الأمر، وتنزل طامتها به شخصيا). وأضاف معترفاً: (مما لا شك فيه أن هناك في العالم العربي والفارسي، عوامل حكومية ودينية.. وتقاليد وممارسات وعادات، تقف حائلا قويا ضد انتشار البولشفية.. فأنظمة الحكم الثيوقراطية في نجد والحجاز واليمن ـ مثلا ـ ستكون بطبيعة الحال معادية للأفكار البولشفية.. وبالطبع، فإن الخطر يكمن في أن أنظمة الحكم هذه، حين تحاول استغلال البولشفيك خدمة للأهداف القومية المحلية، دون الاعتراف بالجزء الشيوعي من البرنامج، فإنها قد تجد رعاياها في نهاية المطاف ـ وخاصة العناصر القبلية ـ قد أفسدوا وسمّمت عقولهم، وأفلتوا من السيطرة.. وغني عن القول، أن مثل هذه الفوضى والانفلات، ستوجه ضد المصالح البريطانية بالدرجة الأولى. وإذا نجحت هذه الحكومات في استخدام البولشفية دون التضحية بالنظام الداخلي للدولة، فمن المحتم أن تزداد حدة ميولها القومية والمعادية لبريطانيا نتيجة هذا الربط بين البولشفيك والميول القومية).

وأخيراً يخلص اللورد لويد الى التالي: (يبدو لي أن هذه المخاطر هي من الجدية والخطورة للحد الذي تستوجب الاهتمام الحقيقي والفوري.. وهكذا، فإذا جاء أقوى حكام الجزيرة العربية يعرض التعاون معنا ضد الخطر البولشفي، فإنني أعتقد أن علينا أن نتردد قبل أن نرفض طلبه، من الواضح أن لا بد من تقديم بعض التضحيات من جانبنا، إذا كنا نريد أن نكسب تعاون حليف بهذه القوة.. أنا أعلم أن هناك اعتراضات متعددة على فكرة تجديد دفع راتب الدعم لابن سعود، ولست شخصيا على استعداد أن أعبر عن رأي محدد حول ما إذا كانت هذه الاعتراضات تزيد من أهمية على مزايا تأمين تعاونه معنا أم لا، إلا أنني كلي ثقة بأن القضية برمتها ستدرس دراسة مستفيضة، بهدف اكتشاف الطرق والوسائل لضمه إلينا ضد التغلغل البولشفي، وليس ضم ابن سعود فحسب، وإنما ضم الإمام يحيى إلينا أيضا).

بعد عشرة أيام، بعث لويد رسالة أخرى الى وزير الخارجية كأحد الحلول: (موقف ابن سعود الحالي من الحكومة البريطانية ومن العراق، هو موقف مرض بوجه الإجمال، وواضح أنه تواق للمحافظة على علاقات جيدة معنا، إلا أنه قد شكى مرات عديدة من أنه لم يتلق منا مؤخرا إلا القليل من تعبيرات الود والصداقة مقابل صداقته الثابتة والمستمرة، في وقت تزداد فيه الصعوبات التي يواجهها. إن من غير المستحسن أن يبقى تحت هذا الانطباع، إذ قد يغريه هذا بالتحول إلى البولشفيك طلبا للمساعدة، وهم الذين يظهرون نشاطا كبيرا في الجزيرة العربية. إن أي شيء نفعله في الوقت الراهن لمساعدة ابن سعود سيكون مفيدا من الناحية السياسية، وأعتقد أن المندوب السامي في العراق ـ جلبرت كلايتون ـ يؤيد رأيي هذا.. فإذا أدرك ابن سعود أننا نستطيع أن نكون مصدر نفع له بقدر ما نحن مصدر رعب وخوف، فإنه ربما يتجه إلى إعطاء أهمية أكبر لأمر المحافظة على صداقة طويلة الأمد معنا. ومما لا شك فيه أن اعتراف مصر به سيمنحه الكثير من الرضى المعنوي، وإذا ما تحقق هذا الاعتراف من خلال وساطتنا الحميدة، فإن آثاره ستكون مصدر فائدة كبيرة فيما يتعلق بتأثيرنا عليه).

تجدر الإشارة الى أن مصر قطعت علاقاتها مع آل سعود، بعد حادثة المحمل في العشرينيات، وعملت على إخراج السعوديين من الحجاز، وقيل أن الملك فؤاد ـ وبتحريض من شخصيات حجازية ـ قام بدعم ثورة حامد بن رفادة شيخ قبيلة بلي في الثلاثينيات، تلك الثورة التي انتهت بدموية، وقطع رأس الثائر وتلاعب به الأطفال كما يقول الزركلي في تاريخه عن السعودية.

بيد أن موقف لويد ذي النزعة الإستعمارية لم يقبل، ورأى

مسؤولون في الخارجية أنه يبالغ في تصوير الخطر، وأنه لا يحق له التدخل في شؤون الجزيرة العربية، لأنها ليست ضمن نطاق صلاحياته. أما جب، فقال أن اقتراح إجبار الملك فؤاد على الإعتراف بابن سعود يجري مناقشته بشكل مستقل، وأضاف: (لست أجد وسيلة أخرى غير راتب الدعم يمكننا بواسطتها مساعدة ابن سعود). في حين اقترح رندل معاونة ابن سعود في تكوين قوة جوية حجازية مقابل ضرب السوفيات، وهو اقتراح قدم لوزارة القوى الجوية البريطانية.

رأي القنصلية في جدة: في ١٠ يوليو ١٩٢٩م، قدم القنصل البريطاني الجديد (بوند) رأيه حول الثمن الواجب دفعه لابن سعود فقال: (المعتمدية السوفياتية لا تتصرف بصورة تعطي الملك المبرر للشعور بالخوف والقلق. أنا أعتقد رغم كل محاولات من سبقني ومحاولاتي أنا لإظهار مدى خطورة الوضع في ذهن الملك ووزرائه، أي الوضع الكامن في مجرد وجود المعتمدية السوفياتية بينهم، فإنهم يدركون مداها إلى حد كبير ولكن ليس إدراكا كاملا. إنهم لا يشكون لحظة في قدرتهم على السيطرة الكاملة على الوضع. من وجهة نظر الملك في الوقت الحاضر، أتصور أنه لا يرى في البولشفية إلا مجرد وسيلة للضغط علينا، تأمينا لمطالبه. ما لم نكن على استعداد للذهاب شوطا بعيدا في مكافأة الملك مكافأة معقولة ومجزية، فنعترف ونقر بذلك بأننا نعلق أهمية كبيرة على هذا الموضوع، فإن الأفضل ترك الأمور على حالها في المرحلة الراهنة، على أن نعود إلى دراسة الموقف حين تقع الواقعة بالمجموعة السورية، هذا إذا وقعت).

هنا.. على آل سعود - اليوم وغدا أيضا - أن لا يزعموا بأنهم يحاربون الشيوعية من منطلق عقائدي.. فالمحاربة جاءت خدمة لاستراتيجيات الغرب، وكل ما عرض من وثائق يفيد، بشكل صارخ أن القضية قضية بيع مقابل ثمن، ولا ترتبط بأي شكل من الإشكال من الزاوية العقائدية.

تطور التمثيل الدبلوماسي في الحجاز

بين عامي ١٩٣٠ و١٩٣٣م، تتطور العلاقات السعودية السوفياتية التجارية، ويخضع الإنجليز للأمر الواقع بعد أن رفضوا دفع الثمن المطلوب لابن سعود. من علامات هذا التطور رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الروسي من معتمدية إلى مرتبة مفوضية، على غرار المفوضية البريطانية.. وكذلك تقديم هدايا روسية لابن سعود هي عبارة عن أجهزة هاتف، إضافة إلى قدوم طيارين روس ليقودوا الطائرات السعودية، وقيام أطباء السفارة بمعالجة حريم الملك!

ففي يناير ١٩٣٠م تم رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي للقنصلية الفرنسية والمعتمدية السوفياتية إلى مرتبة مفوضية. كما أن الباخرة السوفياتية (فوستوك) وصلت إلى جدة في ١٩٣٠/١/٦ وعليها شحنة من الأدوية لاستعمال المفوضية، كما أحضرت بروفيسوراً روسياً قيل أنه اختصاصي بالأمراض الشرقية، وأنه جاء لأغراض الأبحاث والدراسة. وترافق البروفيسور زوجته، وهي مساعدة طبيب، كما يرافقه مترجم مع زوجته. وهؤلاء جميعاً مرتبطون بالمفوضية السوفياتية، والتي تضم بين عناصرها - ومنذ مدة طويلة - طبيبة سيدة.

وقد تمّ تعيين نظير (أشير الى أنه ناصر في وثائق بريطانية سابقة) توراكولوف وزيراً مفوضاً، وقد كان معتمداً وقنصلاً عام، وقد قدم أوراق اعتماده لوزير الخارجية فيصل، بسبب غياب الملك في ١٩٣٠/١/٢٦. وأصبح نظير فيما بعد عميداً للسلك الدبلوماسي، وهو مسلم مستدير الرأس من تركستان، وله ملامح تترية متميزة، كان عمره حين تعيينه نحو ٣٥ عاماً، قال الإنجليز أنه كان ذكيا وله مقدرة كبيرة في مجال اللغات، حيث استطاع اكتساب معلومات جيدة وعملية في اللغة العربية، كما حسن لغته الفرنسية إلى حد كبير، وبدأ يتعلم الإنجليزية منذ وصوله إلى جدة، وهو يشعر بالراحة في الحديث باللغة التركية. لم يكن نظير بيك يحبذ الإنخراط مع الممثلين الغربيين إلا قليلاً، وهو يتميز بروح مرحة وله اهتمامات تجارية واقتصادية أكثر من اهتماماته السياسية، ويبدو ان مهمته كانت تتمحور حول تسويق البضائع الروسية، وهو الذي كان وراء صفقة النفط السوفياتي الى الحجاز عام ١٩٣١، ووراء رفع الحظر عن البضائع الروسية. كان نظير يتظاهر بأنه مسلم ملتزم، ولكن في عام ١٩٣٢ - وحسب زميله البريطاني - خرج من قوقعته، ولم يعد يتظاهر في المجتمع الدبلوماسي بأنه مسلم ملتزم فهو يشرب الويسكي في المناسبات حتى في شهر رمضان! ومع هذا يولي نظير بيك اهتماماً بالشخصيات المحلية، ويرتدي غطاء الرأس العربي. ومن الأمور المدهشه أنه نادرا ما كان يغادر جده، كما أن زوجته الشقراء غير المسلمة قبلت الإقامة الدائمة معه ونشطت في مجال توزيع الأدوية في جدة، وكانت ترحل أحياناً الى الطائف وتساعد في تطبيب ومعالجة الحريم الملكي.



اللورد لويد: ابن سعود يريد الراتب السنوي

في عام ١٩٣٥، كانت قد هدأت سورة الإنجليز من الروس، حتى أن وزيرهم المفوض في جدة، رأى أن الدليل معدوم حول وجود أية سياسة محددة من قبل السوفيات للعبث والتلاعب بالحجاج، وسفنهم المنهمكة في تجارة البحر الأحمر ترسو في ميناء جدة مرة في الشهر تقريبا، وليس هناك من جالية روسية، لكن كادر المفوضية يضم طبيبا يتمتع بشيء من التمييز باعتباره اختصاصيا بالبكتريا (علم الجراثيم)، وهي حقيقة تعطيه قدرا لا بأس به من الأهمية في عالم جدّة الصغير.

الروس يصدرون نفطهم للحجاز

كان الوضع الإقتصادي يشهد أزمة مالية متعاظمة، وهي ذات الفترة التي مرّ بها العالم كساداً لم يشهد له مثيلاً، ونقصد بذلك فترة الثلاثينيات الميلادية من القرن العشرين. كان الملك بعد أن فرغ من حج عام ١٩٣١ يبحث في كل اتجاه قبل أن يغادر جدة الى الرياض عن مصدر للمال طارقاً أبواب الجهات الأجنبية التي جاءته حينئذ بعقد البحث عن شركة تنقيب للنفط أميركية. وقد استطاع وزير السوفيات المفوض عقد صفقة بيع ٥٠ ألف صفيحة من البنزين بشروط سهلة، أثارت الكثير من الشائعات التي تفيد بأن الحكومة

السعودية اتفقت مع الروس على أسس أوسع وأكثر شمولا.

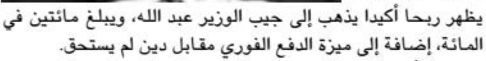
في هذه الأثناء زار المعتمد البريطاني في الكويت الكولونيل ديكسون الرياض، وهناك التقى بحافظ وهبة وأبلغه بأن الروس يحاولون الحصول على امتياز تصفية وتكرير المنتجات النفطية في الحجاز ونجد، واقترح وهبة على ديكسون أن يفاتح السير ولسون، المقيم في بغداد، بأن ينقل إلى عائلة القصيبي المقربة من الملك السعودي امتياز تكرير منتجات نفط الـ A. P. O. C في نجد، لأن الملك لا يحب الشخص الموكلة له حالياً.

وفي يوليو من نفس العام ١٣٣١، غادر نائب القنصل الروسي (تويميتوف) جدة بعد أن أمضى سنوات فيها، وكذلك فعل طبيب المفوضية وزوجته، وهذا ما جعل أفراد المفوضية يتضاءلون بشكل ملفت.

توضحت ملامح صفقة النفط الروسي في شهر سبتمبر ١٩٣١، حيث أفادت المفوضية البريطانية بأن نائب الوزير المفوض في جدة هوب جل التقى الأمير فيصل، وسأله عن الصفقة، فامتقع وجهه، وعاد الى التاريخ وكيف أن محاولات الملك السعودي قد تم رفضها. فقال جل كاذباً: (حاولنا عقد اتفاقية تجارية ذات أفضلية). فرد فيصل بأن الإنجليز أخطأوا وتركوا الملك تحت الضغط الروسي (وحيداً بلا معين إلى أن أصبحت الظروف أقوى من أن يستطيع الوقوف أمامها)! ويضيف جل في رسالة له بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٣١: (هنا ذكرته بأن الموقف الشجاع لم يقفه من أجل سواد عيوننا، بقدر ما كان بسبب النظرات السوداء من أشقائه النجديين، ومن رجال القبائل الحجازية، التي كانوا يطلقونها لمجرد ذكر البولشفية والبضائع السوفياتية. وقد اعتبرني على حق.. ولكن إلى حد ما).

تحدث فيصل عن حاجة البلاد الى المحروقات، وأن مستشاري الملك ووزراؤه أنجزوا أفضل إنجاز لعمل سيء، وتعاقدوا على شراء ما قيمته ثلاثين ألف جنيه من البنزين، وبشروط جيدة جدا أيضا. فقال جل بأن المسؤولين السعوديين خُدعوا واستدرجوا إلى طريق تنازلات أخرى قادمة. وذكر فيصل بأنه رغم الإنكار المطلق والنفي القاطع لدخول بضائع روسية، فإن علب الكبريت الروسية تباع علنا وفي كل مكان، كما أن الأسمنت الروسي ليس مجهولاً! ردّ فيصل بشكل غريب بأن الحظر قائم، وفي نفس الوقت اعترف بأنه تمّ فرض رسوم وضرائب على البضائع الروسية تعادل أربعة أضعاف الرسوم المفروضة عادة، وهو وضع يسهل فهمه جداً في جدّة. ثم قال بصراحة إن الوضع المالي سيء للغاية، ولكنه لا يعتقد بأنه ميئوس منه. وأضاف بأنه شخصياً لم يقبض راتبه منذ سبعة أشهر!

كانت هناك منافسة من الهر دي هاس، القنصل الألماني في جدة الذي سافر الى موسكو مهدداً بتأمين صفقة نفط رومانية رخيصة، أو يقدموا له بعض العمولة!، ولكن الروس ماطلوه حتى عقدوا الصفقة عبر وزيرهم المفوض فرجع بخفي حنين. وكان السوفيات في حالة من الحماس لتأمين توقيع العقد، قبل أن يتمكن الهر دي هاس من العودة إلى جدة، وإغراء الشيخ عبد الله السليمان بشراء النفط الروماني الأرخص، إلى حد أنهم أوفدوا اثنين من المندوبين التجاريين ذوي الصلاحيات المطلقة إلى جدة وهما: الكومراد جورجييف، الذي يمثل جمعية التجارة الشرقية أتي من الحديدة من الجنوب، وتبعه بعد وقت قصير الكومراد هيرتغ ممثلاً لمؤسسة صادرات النفط السوفياتية، وقد وصل هذا الأخير بأقصى سرعة من أوروبا. بنود العقد الحرفية تنص على أن تشتري الحكومة الحجازية ٦٠ ألف صفيحة من البنزين، سعة الصفيحة ثمانية جالونات، بسعر يعطى بالعملة الإنجليزية القديمة، و ٤٠ ألف صفيحة من الكيروسين وبنفس السعر السابق، مما يجعل القيمة الإجمالية للعقد ٣٠ ألف جنيه، تدفع على أربعة أقساط متساوية، بمعدل قسط كل شهرين، وتدفع حين التسليم الذي يتوقع أن يتم قريبا.



الشريف حسين: أغضب الإنجليز بعلاقاته السوفياتية فأزاحوه

الصفقة كانت مربحة لعبد الله السليمان الذي باع ألفي صفيحة بنزين في مكة بسعر جنيه واحد لكل منها، وهو يظهر ربحا أكيدا يذهب إلى جيب الوزير عبد الله، ويبلغ مائتين في المائة، إضافة إلى ميزة الدفع الفوري مقابل دين لم يستحق.

ومع أن الصفقة في صالح السعوديين، إلا ان الإنجليز امتعضوا وبدأوا يتلاومون، ويعتبون على السعوديين بأنهم لم يوضحوا الدعم الذي يريدونه! رغم الوضوح الكبير فيما قالوه. لكن من جهة الروس فإنهم لم يكونوا مقتنعين بجدوى العلاقات مع السعوديين إذا لم يخففوا الضغط عن دخول بضائعهم الى البلاد. وفي اكتوبر ١٩٣١غادر الوزير المفوض الروسي جدة في إجازة طويلة امتدت لستة أشهر (أخذ موقعه هوريس سالكند) وأعطى الإنطباع بأن عودته الى جدة تعتمد إلى حد كبير على التقدم الذي يمكن إحرازه لإدخال البضائع الروسية، حيث ما تزال ممنوعة من الدخول إلى حد ما.

وصلت الشحنة الروسية الأولى من النفط متأخرة الى الأسواق. قيل أن السبب هو الخلاف بين المسؤولين السعوديين والأمراء مع وزير المالية عبد الله السليمان، وقد تصاعدت حدتها بعد انفراد وزير المالية بأرباح الصفقة مع الروس. أكد ذلك هوب جل في رسالة مؤرخة في ١٩٣١/١١/٢، حيث قال بأن هناك انقساماً خطيراً داخل الحكومة الحجازية (فالمدير العام للمالية، والذي كان خلال الأشهر القليلة الماضية المدير (الموجه) الفعلي للحجاز، قد أقيل من عمله واستدعي الى الرياض).

انزعج المسؤولون الروس من حقيقة أن الملك ابن سعود لم يسدد قيمة الشحنات النفطية حتى نهاية عام ١٩٣١. كما انزعجوا من استمرار الحظر على بضائعهم. فقد كان هناك حظر عام على الاستيراد من روسيا، يتعايش جنبا إلى جنب مع نظام يخضع هذه البضائع التي قد تستورد رغم الحظر، إلى رسوم تعادل أربعة أضعاف الرسوم المعتادة. من الناحية العملية، تجد بعض البضائع الروسية مثل السكر وعلب الكبريت والأسمنت، طريقها إلى السوق الحجازية عن طريق مصوع وموانئ أخرى، ولكن القيود، بغض النظر عن طبيعتها المحددة، كافية لإعاقة وتعطيل هذه التجارة، لم ينجح الوزير السوفياتي المفوض في تأمين إزالتها.

فيما يتعلق بالديون المستحقة لموسكو، أمكن حلها من خلال استقطاع قيمة الضرائب المفروضة على السلع الروسية. ولكن الملك السعودي طلب من روسيا قرضاً بمليون جنيه رفض حلفاؤه الإنجليز تأمينه. وقد سافر الأمير فيصل وفؤاد حمزة إلى موسكو عام ١٩٣٢

لمناقشة هذا الموضوع.. وقد كانت الشروط السوفياتية المهمة مقابل القرض، أن تفسح الحكومة السعودية المجال أمام التجارة الروسية بدون ضرائب، على أن يكون القرض الروسي على شكل سلع، وليس نقدا كما يريد السعوديون، كما طلب السوفيات إضافة شرط عقد معاهدتي صداقة ومعاهدة تجارية بين البلدين.

سأل أندرو رايان، الوزير البريطاني المفوض في جدة، فؤاد حمزة عن زيارته لموسكو فلخص له الأمر بأن الحكومة السوفياتية عبرت عن رغبتها بثلاثة أشياء هي: رفع الحظر عن التجارة من روسيا إلى العربية السعودية، ومعاهدة صداقة، واتفاقية تجارية. كما عبرت عن استعدادها لمساعدة الحكومة السعودية بأسلوب وصفه فؤاد وصفا غامضا، إلا أن تعبيراته أوحت بأن العرض يتضمن قرضا على شكل بضائع، وبموجب اعتمادات طويلة الأجل، أو قصيرة الأجل. وقال بأن الحكومة السعودية غير راغبة بإلزام نفسها إلا لمدة قصيرة، ربما كانت ثلاثة أعوام. واعترف فؤاد بك بأن تبادل وجهات النظر في موسكو، قد أدى إلى مباحثات مستقبلية، أدت فيما بعد الى رفع الحظر المفروض، وهو الرفع الذي لم يصبح ساري المفعول بعد، لأن السوفيات تعهدوا بألاّ يبدأوا بشحن البضائع إلى أن يتسنى للحكومة السعودية فرصة تنظيم ترتيبات البيع.

وحسب تقارير المفوضية البريطانية فإنه لم يستتبع النجاح السوفياتي، كما كان يتوقع، تدفقا هائلاً للبضائع السوفياتية، بل على العكس، فقد أوقفت الحكومة السوفياتية منذ بداية شهر أغسطس ١٩٣٢، حركة الملاحة من البحر الأسود، والتي كانت بواخرها ترسو في ميناء جدة مرة كل شهر تقريبا، ولم يسمع أي جديد عن الاتفاق (الصفقة) بين الحكومتين حتى نهاية عام ١٩٣٢. وحتى ذلك الحين لم يُسدد الدين البالغ ٣٠ ألف جنيه.

حين اشتعلت الأزمة والحرب مع اليمن حول المناطق الجنوبية الحدودية، ولأسباب سياسية اتهم السعوديون السوفيات اتهاماً لم يكن أقل حدة من اتهامهم لإيطاليا، بأنهم يدعمون الإمام. الدليل الذي يقوم عليه هذا الاتهام غير واضح ولا معروف لدى المفوضية البريطانية في جدة، سوى أن السعوديين كانوا يشيعون القصص والروايات الكثيرة، وهي الحكايات التي لم تتأكد صحتها، من أن سفينة روسية عبرت قناة السويس وهي تحمل الأسلحة وملحقاتها إلى الأمام.

وتقول المفوضية البريطانية في جدة أن نظيرتها الروسية مستمرة بالتظاهر بأنها أكثر اهتماما بالتجارة منها بالسياسة. كما أنها تظهر بمظهر المحروم من النفقات، كما لم يكن فيها شخصية رئيسية مشرفة عند نهاية عام ١٩٣٢، باستثناء الوزير وطبيب قدم حديثا. وأضافت: (نسمع التقارير بين حين وآخر عن نشاطات شيوعية في الدوائر الإسلامية في مكة، وهناك مؤشرات أقل وضوحا عن وجود نفس الشيء في المدينة. لا يمكن القول يقينا إلى أي مدى تكون الدعاية منظمة، أو إن هي نظمت، ما إذا كانت توجه من قبل المفوضية السوفياتية في جدة أو عن طريق عملاء آخرين. ربما كانت لا تعدو أن تكون مجرد تسلل محدود للعقيدة الشيوعية داخل التعليم الديني، إضافة إلى النشاط المتفرق الذي يقوم به الهنود والمحرضون الآخرون من ذوي الميول الشيوعية)!.

لقد تبدلت لهجة السعوديين والبريطانيين تجاه الروس إلى النقيض.. ففي السابق كان الإنجليز هم الذين يثيرون ابن سعود تجاه نوايا الروس (الشريرة)!، وكان ابن سعود يقول لهم، بأن الخطر ليس كبيرا.. أما هذه الوثيقة فقد بينت المواقف بشكل عكسي. فابن سعود، رغم الصفقة النفطية، ورغم الشروع في توقيع اتفاقية مع الروس بشأن قرض على شكل سلع بمبلغ مليون جنيه استرليني. يتهم السوفيات بأنهم يدعمون إمام اليمن ضده. والإنجليز الذين كانوا يحاولون تصيد الأخطاء الروسية ثم ينفخون فيها ويهولونها، نجدهم هنا يقللون من أهمية الصفقة النفطية والقرض المزمع عقده، ويقولون بأن السوفيات لم ينجحوا في تسريب بضائعهم للحجاز.. ويشككون بأن روايات آل سعود واتهامهم للروس بدعم الإمام غير صحيح.. وفي الوقت نفسه يشككون أيضاً بوجود نشاط روسي دعائي/ سياسي ضد الإنجليز في الحجاز.



غلبرت كلايتون في جدة: تحذير من الشيوعية

لم يقبل ابن سعود بالقرض الروسي إلا بعد رفض الإنجليز مساعدته، ومع هذا فإنه في حال تسلمه القرض، سوف يبقي على العلاقة التجارية فقط مع الروس، وأوضح للإنجليز بأنه لن يؤثر على علاقاته معهم. لقد ناشد ابن سعود بريطانيا تقديم قرض بنصف مليون جنيه ذهباً، أو مساعدته بجمع المبلغ من سوق لندن المالية، لكن البعثة البريطانية اعتذرت عن تلبية الطلب ـ كان ذلك في مايو ١٩٣٢ ـ وأن الظروف غير ملائمة بالمرة لجمع قرض من سوق لندن المالية. التفت السعوديون بعدها لعواصم اوروبية اخرى، من بينها برلين، ثم عاود ابن سعود عبر يوسف ياسين المحاولة فبعث برسالة الى الوزير المفوض رايان في ١٩٣٢/٦/١٩ (جدد فيها مناشدته لبريطانيا لتقديم مساعدة مالية، ولكن على مستوى أقل بكثير من السابق، وأوضح في الرسالة أن السوفيات على استعداد لتقديم قرض له يصل إلى مليون جنيه، يقدمونها له على شكل بضائع وليس نقدا، وأنه لا يرغب في قبول هذه المساعدة، ولا يقبل بالشروط السوفياتية القاضية بأن يعقد معاهدة معهم، إلا أنه قد يضطر إلى سلوك هذا الطريق، فرغم أنه حتى ولو فعل ذلك، فإنه سيحصر المعاهدة ضمن حدود ضيقة).

لم تحرك هذه المناشدة، ولا إغراء السوفيات وخطرهم المفتعل أية رد فعل إيجابي. كل ما استطاعت بريطانيا فعله هو تأكيد رفضها السابق المغلف بالودّ والصداقة! وهذا الفعل هو الذي أضاع على الإنجليز فيما بعد امتياز البحث عن النفط السعودي لصالح الأميركيين. كان رأي خارجية لندن حول النشاطين التجاري والسياسي الروسيين بأنهما لن يجد أرضاً خصبة في العربية السعودية

لكن القرض الروسي لم يُحلّ، وانصبّ اهتمام الروس وإلحاحهم على تحصيل دينهم القديم، وكرروا الإلحاح لكن خزينة الملك فارغة، بسبب السرقات، وبسبب البذخ الذي تحدثت عنه الوثائق البريطانية كثيراً، ربما لتبرر عدم دعم السعوديين!

وأخيرا، ولمّا كان الملك غير قادر على دفع ديونه، تم الاتفاق مع الروس حول إدخال بضائعهم للحجاز ضمن صفقة تغطي قيمة البنزين والكيروسين (٣٠ ألف جنيه). ورأى جل في رسالة له في ٢٤ فبراير ١٩٣٣ أن هذا الترتيب (سيؤثر سلباً على تجارة الدقيق القائمة منذ زمن مع الهند، وستضرب مصالح مجموعة التجار الهنود المقيمين في جدة. كما ستؤثر على مصالح شركة شل. الرأي العام

المحلي مضطرب، ولكن من غير المحتمل أن يواجه الاتفاقية بمعارضة فعالة). ولكن جل قال بأنه (يمكن لبريطانيا إثارة الانتقاد الإسلامي في الهند للاتفاقية بواسطة المتضررين من أصحاب المصالح).

نهاية العلاقات السعودية السوفياتية

كانت خيبة الروس عظيمة. فلم يستلموا حتى هذا التاريخ مليماً واحداً من قرضهم، ولم يتحقق قرض المليون جنيه الجديد. لم يحدث شيء ذو أهمية خلال عام ١٩٣٤م فقد بدت العلاقات السياسية بين السعودية والسوفيات في حالة ركود تام، ولم تكن هناك أية تطورات ملحوظة في العلاقات التجارية، وجل ما كان يحدث ان الوزير السوفياتي المفوض كان يبالغ في تودده لوزير المالية أملاً في استحصال دين بلاده!

ولكن خلال صيف ١٩٣٤ أرسلت الحكومة السوفياتية هدية إلى ابن سعود، هي عبارة عن جهاز هاتف آلي، ومعه خبير أو أكثر، ليبينوا طريقة تشغيله واستخدامه في قصر الملك بالطائف. وقد رافق الوزير المفوض وزوجته الممرضة الموظفين الى الطائف وارتدت زوجته غير المسلمة الحجاب، وسمح لها بالاتصال بنساء ابن سعود.

التطور الآخر خلال ذات العام، أن طائرات ابن سعود الأربع وهي عماد القوة الجوية السعودية، بقيت غير مستخدمة وفي يونيو ١٩٣٤ وصل روسيان أبيضان الى جدة أحدهما طيار والآخر ميكانيكي، كانا في خدمة ملك الحجاز الشريف حسين، تعاقدت الحكومة السعودية معهما في مصر. وجد الروسيان أن ثلاثاً من طائرات وابيتي (WAPITI) التي تم شراؤها بإشراف بريطاني لم تكن بحاجة إلا إلى إطارات وبعض قطع الغيار لتعود إلى العمل. أما الطائرة الرابعة فقد تحطمت وتلفت نتيجة سقوطها، فيما استمر الروسيان يحلقان بالباقيات ويهبطان بشكل أخرق مما تسبب بعطل وعطب خطير في إحدى الطائرات. وفي نوفمبر ١٩٣٤ وصل روسيان أبيضان آخران من مرسيليا وانضما الى المجموعة.

في عام ١٩٣٥ عاد كريم حاكيموف الى جدة كوزير مفوض خلفاً لنظير بيك، وشرع بالإتصال المكثف بوزير المالية عبد الله السليمان الذي كان يحاول التملص من دفع الديون. والتحق في نفس العام المسيو جيرتك، تحت مسمى (الوكيل العام لتجارة الاتحاد السوفياتي) وبقي ملحقاً بالمفوضية لبضعة أسابيع بدت غير مفيدة فغادر جدة. أيضاً وفي نفس العام شهر أبريل التحقت طبيبة مسلمة روسية تدعى أمينة بخدمة ابن سعود. كما أن خبيرا تجاريا سوفياتيا يدعى (كوندراتشوف)، وهو من موظفي المعتمدية الروسية في اليمن قد زار جدة في طريقه الى بور سودان ومنها الى روسيا. ولتضاؤل النشاط الروسي كان حاكيموف يتوقع احتمال إلغاء حكومته لمنصبه في أية لحظة، هو والعناصر الثلاثة معه (شاكر اسماعيلوف وزوجته، والدكتور توكوف هوانسكي وزوجته، ومورسن وهو طبيب أسنان!

في عام ١٩٣٦ وصلت العلاقات الروسية السعودية الى الحضيض، وأصبح هم حاكيموف ليس فتح أسواق جديدة في الحجاز، ولا السماح بدخول البضائع، ولا عقد معاهدة تجارية مع ابن سعود، ولا ترويج الدعاية ضد الإنجليز، وإنما استرداد الدين المستحق الذي لم يُدفع منه مليم واحد! وكان الإحتمال ضئيلاً باسترجاع المبلغ حسب حاكيموف الذي قال لزميله البريطاني إنه من حسن الحظ أن مثل هذه الأسواق الصغيرة كانت قليلة الأهمية بالنسبة لبلد ذات مداخل كبيرة مثل روسيا السوفياتية. ورغم أن المفوضية السوفياتية في هذا العام لا تجد ما تفعله إلا القليل النادر، حسب مخابرات السفارة البريطانية، فإنها أضافت إلى عناصرها سكرتيرين جديدين أحدهما قرغيزي والآخر يهودي.


ابن سعود: لكلّ شيء ثمنه

الروس يستردون أموالهم!

أهم حدث في العلاقات عام ١٩٣٧ هو استعادة الروس لدينهم، وقد كان غير متوقع بعد حوالي ست سنوات من عقد صفقة البترول. فقد استلمت المفوضية السوفياتية حوالة مسحوبة على بنك مصر، لتسلم دفعات شهرية تعادل واحدا من اثني عشر جزءا من الدين السوفياتي المستحق على السعودية. ومع وجود احتمال عدم توفر المال لدى السعوديين، فإن حاكيموف كان يأمل على الأقل استعادة بعض الدين، ولكن الإجراء السعودي هذا أثار البريطانيين الذين لهم ديونهم الأخرى على ابن سعود، قيمة ألف بندقية مستعملة ومليون طلقة!

ومن أحداث عام ١٩٣٧، أن المفوضية الروسية أعادت افتتاح صيدليتها في شهر أبريل بعد أن بقيت مغلقة لفترة طويلة من الزمن. الطبيب الجديد، ستيبوكوف تولى ادارتها مع أنه لا يجيد إلا الروسية، وكان غارقاً بين المرضى الذين يفدون إليه وعددهم يصل الى الثمانين يومياً، أما الطبيب البريطاني فكان يستقبل نحو مائة يومياً من المرضى السعوديين!

ويقول البريطانيون أن اعضاء المفوضية الروس طوروا علاقات اجتماعية مع الحجازيين، وتعلموا العربية باللهجة الحجازية بشكل سريع، وكانت زوجة السكرتير الروسي (فتاحوف) وهي مسلمة تتحدث التركية قد وجدت في عفت زوجة الأمير فيصل مستمعة وصديقة.

أيضاً، في عام ١٩٣٧، طلب ابن سعود من أصدقائه البريطانيين وعبر وزيره المفوض في لندن: حافظ وهبة، مساعدته في قضايا الملاحة الجوية، وألمح الى أنه قد يقبل بعثة جوية روسية، إن لم يساعدوه. فالملك حسب ما قاله وهبة للخارجية البريطانية (يدرك المزايا والفوائد التي قد تترتب على حصوله على مثل هذه البعثة من بلد كهولندا، أو من إحدى الدول الإسكندنافية، التي ليس لها مصالح سياسية في الشرق الأوسط. إلاّ أن تكاليف البعثة السوفياتية ستكون أقل من البعثات الأخرى بكثير. وكان الاعتقاد في بادئ الأمر أن الملك كان يفكر باستقدام روس (بيض)، إلا أن الشيخ حافظ أقسم مؤكدا أن الموضوع يتعلق ببعثة سوفياتية، وأن عرضا بهذا الشأن قد قدمته السفارة السوفياتية في باريس، حين كان الأمير سعود يقوم بزيارة إلى هناك). لكن فؤاد حمزة قال لأندرو رايان المفوض في جدة بأن الحكومة السعودية لن تقبل بذلك، وأن الروس لم يعرضوا أصلاً هذا الموضوع على الملك. ويبدو أن الأمر كله كان من أجل الضغط السياسي لتحصيل منافع اقتصادية.

قطع العلاقات السعودية السوفياتية

بدأت عملية قطع العلاقات السعودية السوفياتية باستدعاء

الوزير المفوض الروسي (حاكيموف) في أواخر عام ١٩٣٧م وإعدامه هناك بعد فترة قصيرة جدا. وكان لانقطاع خبر حاكيموف أثر كبير في قلق أعضاء المفوضية في جدة، والذين رفض بعضهم في آخر أوامر العودة ولجأوا لابن سعود خشية الإعدام!

في شهر ديسمبر ١٩٣٧، وحين طالت غيبة حاكيموف، ثار قلق في أذهان عناصر مفوضيته في جدّة. زعم انه مرض في الطريق وأنه يقضي فترة نقاهة، وعلى أية حال تبين بعد أشهر أنه أعدم.

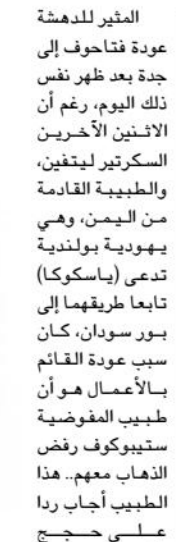
أسباب إغلاق المفوضية السوفياتية لأبوابها في جدة عديدة، أهمها، أن الروس لم يجنوا شيئا منها يخدم أهدافهم الاستراتيجية، سياسية كانت أو تجارية. ويعود فشلهم في هذا المجال إلى التضييقات السعودية على النشاط الروسي بشكل عام. بيد أن الروس طرحوا مبررا غير واقعي وهو (اعتراضهم على المعاهدة الأنجلو إيطالية بشأن بعض مناطق الشرق الأوسط).. غير أن هناك أسبابا إضافية أخرى، تتعلق بالتوجه الستاليني التصفوي لمعارضيه أو لغير المؤيدين لسياسته، وهذا أمر روسي داخلي، يضاف إليها المشكلة المالية وتخفيض النفقات.

في شهر مايو ١٩٣٨م، أخبر القائم بالأعمال السوفياتي، وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بأن الحكومة الروسية قد أعلمته بقرار إغلاق مفوضيتها في السعودية واليمن، فما كان من فيصل إلا أن هرع للإنجليز ليخبرهم بالأمر ويطلب مشورتهم! فردوا عليه (إن هذه قضية تخص السعودية فقط)! واعتبروا إغلاق السوفيات لمفوضيتهم عملاً متوقعاً، فالحكومة السوفياتية لن تخسر شيئاً على الإطلاق، اللهم إلاّ بعض القيمة الدعائية الطفيفة لطبيبهم في جدة. ويقول تقرير للمفوضية البريطانية أنه ليس للروس رعايا، ولأسباب معادية للدين وأسباب مالية، لم يفد أي من حجاجهم إلى مكة. وبما أنهم استردوا ديونهم وأن مفوضيتهم ومنذ وقت طويل لا تتعدى أن تكون مجرد مكتب للترجمة، حيث ترسل الأخبار والآراء التي يتم جمعها من الصحف العربية الصادرة في الشرقين الأدنى والأوسط إلى موسكو.. إذن فإغلاقها لا خسارة منه.

مصير أفراد البعثة السوفياتية في جدة

في يونيو ١٩٣٨ قال تقرير مفوضية بريطانيا في جدة أن الحكومة السعودية أبلغتهم بأن حاكيموف، الذي ادعى بعض موظفي المفوضية الروسية أنه رشح ليكون سفيراً في أفغانستان، وطبيبة روسية، قد تم إعدامهما بالفعل.

في أغسطس كان علي فتاحوف، القائم بالأعمال السوفياتي والطبيبة (ياسكوكا) منهمكان في إنهاء كل أمور المفوضية المعلقة على أن يغادرا جدة في ١٩٣٨/٩/١١ مع بقية أعضاء المفوضية (الدكتور ستيبوكوف، والمستر ميخائيل لتفين). وفعلاً غادر موظفو المفوضية جدة على ظهر باخرة البريد الخديوية، متجهين إلى بور سودان، ومن هناك توجهوا إلى مرسيليا ثم إلى باريس. وقد بدا القائم بالأعمال فتاحوف، مثل زميليه الآخرين، مرهقا منهوك القوى. وقد أوضح سبب ذلك بأن أربع برقيات طويلة مشفرة وصلت مساء اليوم السابق، مما اضطرهم جميعا إلى السّهر طيلة الليل لتحليل شفرات البرقيات. وقد ذكروا وهم يغادرون جدة أن حكومتهم قامت بإغلاق المفوضية بدوافع اقتصادية للتوفير، كما أغلقت لنفس السبب ما لا يقل عن اثنين وخمسين مركزا في مختلف أنحاء العالم. وقالوا أيضا أن البعثة الدبلوماسية الروسية في جدة كانت أقدم بعثاتهم الدبلوماسية في الخارج على الإطلاق.


المثير للدهشة عودة فتاحوف إلى جدة بعد ظهر نفس ذلك اليوم، رغم أن الاثنين الآخرين السكرتير ليتفين، والطبيبة القادمة من اليمن، وهي يهودية بولندية تدعى (ياسكوكا) تابعا طريقهما إلى بور سودان، كان سبب عودة القائم بالأعمال هو أن طبيب المفوضية ستيبوكوف رفض الذهاب معهم.. هذا الطبيب أجاب ردا على حجج


الملك فؤاد: قطع العلاقات مع آل سعود

فتّاحوف الذي نفذ صبره، بأنه كان موقنا ومتأكدا من أن اسمه مسجل في (القوائم) السوداء عند السوفيات، وكان واثقا من أنه سيعدم رميا بالرصاص حين وصوله الى الاتحاد السوفياتي، وقال الطبيب أنه سيشعر بالامتنان لو أن فتاحوف أطلق النار عليه بنفسه توفيرا للأتعاب والمشقة. وأخيرا، غادر فتاحوف جدة وحيدا بعد يومين على ظهر الباخرة الإيطالية، واستطاع ركوب الباخرة المتوجهة إلى مارسليا من بور سودان، مع الاثنين الآخرين. وعاش الطبيب في جدة وسمح له بالاستمرار في مزاولة مهنته محليا. وأبدت السلطات السعودية قلقاً على فتاحوف وزوجته من أن يعدما، وصدقت إشاعة بأن فتاحوف لن يتابع سفره إلى ما بعد باريس. ولكن الحقيقة هي أن زوجة فتاحوف وزوجة الطبيب كانتا موجودتين في روسيا آنئذ.

في اكتوبر ١٩٣٨ أفاد الطبيب ستيبوكوف مفوض بريطانيا في جدة، بأن حاكيموف ونظير بك قد أعدما. وقال ان حاكيموف لم يذهب في إجازة ولكنه استدعي فجأة، وكانت صدمة عنيفة له كبولشفي عتيق، وقد تم اعتقاله لدى وصوله إلى الحدود السوفياتية مباشرة، وأعدم بعد حوالي ستة أسابيع بتهمة الخيانة.

وطبقا لرواية الدكتور ستيبوكوف، فإن آمال فتاحوف نفسه بالبقاء على قيد الحياة لا يمكن أن تكون مطمئنة إلى حد كبير. فزوجة الأخير التي غادرت جدّة فجأة في الربيع، بناء على أمر بالعودة إلى الوطن بموجب برقية متعجرفة آمرة صادرة عن مسؤول (إدارة) العلاقات الخارجية لا يعلم عنها شيء.. ربما كانت السيدة ليتفين، (زوجة السكرتير ليتفين)، والتي ذهبت إلى روسيا قبل ذلك بوقت قصير، هي التي أدلت بمعلومات ضدها. وعلى كل حال، فإن فتاحوف لم يتلق ولو كلمة واحدة من زوجته بعد وصولها إلى روسيا.

المهم أن الطبيب الروسي أقام في جدة ومارس مهنته فيها، وأشاع أنه اعتنق الإسلام (إسميا) حتى لا يكون كالخروف الأسود في القطيع الأبيض.. وحين كان يمارس مهنته، ينزعج منه الأطباء السوريون العاملون في البلاد، لأنه يعتبر منافسا لهم! وكان الدبلوماسيون البريطانيون قد توقعوا أن تمنح السعودية الطبيب الروسي الجنسية السعودية في نهاية المطاف.

رمضان في الحجاز

عندما يحل شهر رمضان المبارك يجري ترفيع ما تضمه مجالس الاستقبال ووضعها فوق بعضها البعض كالمساند والطواويل والمخدات المزركشة والجلايل الرومي بأنواعها لأنه ليس بوسع العوائل في شهر رمضان موالاة تنظيفها وازالة الغبار الذي يحدث بفعل الهواء الذي يدخل البيوت من الشبابيك أو الذي ينبعث من الأرض التي يعلوها (الخسف) لأن للصيام حالاته التي لا تسمح بالانشغال في أمور كهذه لأن فيها شيئاً من التعب، وفيها شيئاً من التعرض لهذا الغبار وما قد يسببه من مضار لا تخفى على فطنة القارىء.. وقد كان أهل الحجاز يصنفون أيام شهر رمضان المبارك على النحو التالي:

عشرة الجزارين: إذ فيها يقبل الناس على شراء اللحوم بأنواعها..والطيور أيضاً، منها ما هو خاص بـ (الشوربة) التي تصنع بالحب أو الشعيرية أو الترتر أو الفريك.. ومن اللحم أيضاً ما يؤخذ من (الهبرة) لفرمها في المنزل ثم يضاف عليها البصل وقليلاً من البهارات الخفيفة حتى ينضج، وبعد تبريده يضاف عليه البقدونس وبها تصنع (السمبوسك) بأشكالها المعروفة.. وكذلك لا ننسى التزاحم العجيب على الفوالين لأن هذا الثلاثي العجيب (الشوربة والسمبوسك والفول) هي قوام المائدة الرئيسية في المغرب عند الافطار ثم لا تخلو المائدة من الحلويات مثل: الكنافة أو الغريبالية وهو عجين يحشّى بالفستق أو اللوز، واللقيمات، والطرمبة (بلح الشام).. وكذلك يصنع (اللحوح) في المنزل ويحشّى باللوز الحجازي أو المكسرات الأخرى وتضاف عليه الشيرة قليلها أو كثيرها ومن أحلى مظاهر شهر رمضان المبارك الاجتماع العائلي الذي يدخل البهجة والمسرة في النفوس.

أما السحور فمن الناس من يعتمد على الطبيخ المعتاد في أيام الفطور وتطبخ الخضروات على أنواعها واللحوم في أشكالها المختلفة كالكباب والمقلقل والمختوم الممزوج بعصير الباذنجان الأحمر..ومن الناس من يتخفف في طعام السحور بحيث يضاف عليها طبخة الكشري بالأرز، أو (عصيدة الخضار) وهي من الشعير ومن نوع خاص ويميل الى اللون الأخضر واللدونة الطرية، أو المكرونة مضافاً اليها شيئاً من اللحم المفروم والبقدونس الأخضر واللبن الممزوج بالنعناع الناشف.. وكذلك يضيفون على هذه المائدة المهلبية ومسماها الاساسي هو (مهلاً.. بي) والمغزى من هذا الاسم هو أن يترفق الناس في تناولها بحيث لا يأكل الواحد منها نصيبه ونصيب إثنين أو ثلاثة.. وكذلك (خشاف الزبيب) الذي يغلي ثم يضاف اليه قليل من النشا لإعطائه شيئاً من التماسك.. وبطبيعة الحال فإن كثيراً من الذين ينحدرون من الأجناس الأخرى المقيمين في هذا البلد الآمن لهم طبخاتهم الخاصة ولها لذتها ونكهتها الخامرة..ومن العادات المحببة الى النفس في هذا الشهر الكريم تبادل العوائل فيما بينهم المأكولات التي يتم طبخها في المنزل مما يسمى بـ (الطعمة).. (وأصبر يا واد لا تروح بالصحن فارغ، خليني أحط فيه حاجة.. عيب أيش يقولوا علينا الناس).

ومن الأكلات الشعبية التي يدور بها بائعوها في الحارات والأزقة رغم إظلامها: المنفوش (وقرمش يا المنفوش).. والبليلة عندما يقول بائعها (يا بليلة بللوكي..سبع جواري طبخوكي).. والفول والترمس.. و(النافع الله يا حلبه)..وحلاوة غزل البنات في شكل شعر طويل..وحلاوة المشبك.. وبسطات المقلية والسمبوسك.. و(الفلة) عجين مخلوط بالجبن.. و(اللقيمات) عجين مدور تضاف عليه (الشيرة).. ثم طرأ على الاسواق (المنتو) عندما وفد من البلاد (البخارية) عندما إقتحمت الشيوعية أراضيهم وممتلكاتهم وكذلك صناعة التميس التي وفدت.. (وسنو سكين..وسنو مقص) وأشياء عديدة لا يختص بها شهر رمضان المبارك بل تزداد مظاهرها في هذا الشهر الكريم.. وكان الناس على مدى الأزمان يحرصون على أداء صلاة التراويح في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمساجد الأخرى، ومنهم من كانوا يجتمعون في بيوت بعضهم بعضاً عندما يكون هناك حفاظ للقرآن الكريم، فيؤدون الصلاة في بيوتهم أو في المساجد المنتشرة في الحارات وبنفس الطريقة التي تؤدى بها في الحرمين الشريفين..وبعضهم يؤدونها بتلاوة قصار السور يبدأونها بسورة (التكاثر) وفي الركعة الثانية يقرأون سورة (الاخلاص) وهي سنّة محمودة سنها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه..ومازالت هذه السنّة مستمرة حتى الآن..

أما بالنسبة للدوام الوظيفي الرسمي في شهر رمضان..ففي أواخر الخمسينات وبداية الستينات انخرطت في العمل الوظيفي..وكان العمل ليلاً من بعد أداء صلاة التراويح حتى مدفع السحور الأول..وكانت الأتاريك (الجلاسي) فوق مكتبنا، وقد تسببت لبعض الموظفين بالحساسيات من الغاز عند الإطفاء المفاجيء للأتريك وصعود الأدخنة منه تلك التي تدخل في جوف الإنسان وتجعله (يكح) بشكل غير طبيعي..ثم رؤى بعد كل التجارب في العمل الليلي أن العمل في النهار هو الأفضل، فصدرت قرارات مع بدايات تكوين مجلس الوزراء الذي أسس عام ١٣٧٣هـ، بأن يكون العمل في أيام شهر رمضان نهاراً من الساعة العاشرة صباحاً حتى الرابعة عصراً ولا زال هذا التوقيت سارياً حتى الآن.

ومن أجل مظاهر رمضان الشعبية (المسحراتي) ونقره على طبلة لها إيقاع خاص ولذيذ، خاصة عندما يقول: (إصح يا نايم وحّد الدائم).. والهدف منها تنبيه الناس لتناول السحور قبل أذان الفجر.. لأنهم في تلك الأزمنة كانوا ينامون مبكرين ومنهم من يفوتهم السحور بسبب النوم أما الآن فالقوم سهارى نهارهم ليل وليلهم نهار على طول أيام السنة ولم يعد للمسحراتي أي دور الا من حيث الشكليات هذا إن وجد.

عشرة القماشين: وهي العشرة الثانية من رمضان، وفي خلال هذه الأيام المباركة تشترى الاقمشة للذكور والإناث والأطفال لتجهيزها للعيد السعيد، مع التوابع الأخرى

كـالـفـنـايـل والسراويـل والـكـوافي والإحرام المطـرز والمداس المزركش، والـتــاسـومــا وبعض العوائل تقوم بخياطتها..
عشرة الخياطين: وهي العشرة الأخيرة من رمضان وفي خلالها يشتد التزاحم عليهم والـرجـاءات تـلـو الـرجـاءات في أن تـكـون الخياطة جيدة وحلوة.. وأحياناً يتأخر بعض الخياطين في تسليم ما أوكل إليهم حياكته، فإن كان للولد ثوبان لا يحصل الا على ثوب واحـد (وهــات يـا ركض..ويـارمـح) وتـرى الأولاد يـزوغـون مـن الـبـيـوت ذهـابـاً وإيـابـاً للخياطين.. منهم الفرحان، ومنهم الزعلان والدموع على الخدين تجري..

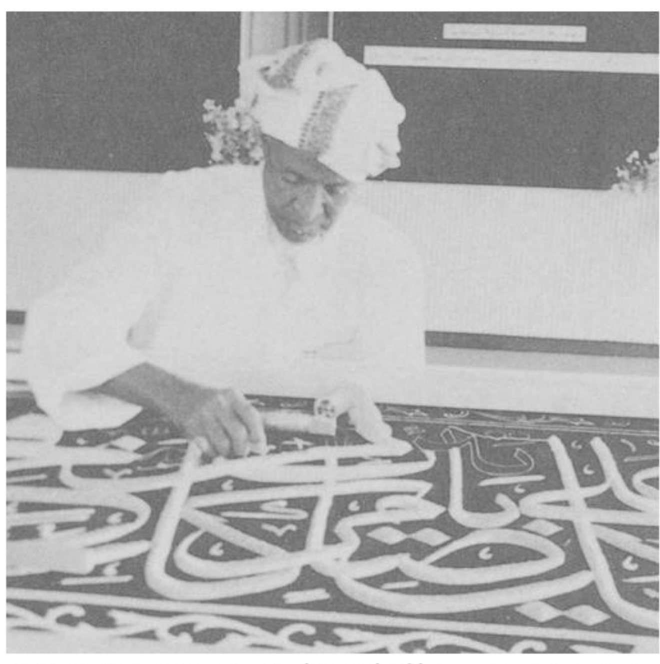
ولا تسل عن المهتمين بالعمائم وخياطة الجبب والشـايـات والصـداري يـذهـبـون الى الخياطين لاستطلاع أخبار الفراغ منها وعن ملابس أولادهم وبناتهم، وقد كان الناس في تلك الأيام يرتدون الملابس الحلوة الزاهية الا في يوم العيد..

ولـكـن ألـيست هـي الـفـرحـة بـالـعـيـد؟.. وبـالأجر والثواب الذي منحه الله لعباده الصائمين وأن يجزيهم ثوابهم بأداء زكاة الصوم التي تسمى بـ (الفطرة) وقد وزعوها على المحتاجين والمساكين الذين يتطلعون بشغف الى هذا العون المادي أو العيني كما جاء في أحاديث رسول الله صلة الله عليه وسلم ومنها ما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم (زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمسكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات).

أما الحلاقون فإن الزحام عليهم يبدأ في الخمسـة الأيـام الأخيرة مـن رمـضـان سـواء لـلـرجال أو الأطفال وكل عـائـلـة لـهـا حـلاق مخصوص تعودوا عليه.. ويكاد يكون شهر رمـضـان مـن المواسـم الـهـامـة لـلـحـلاقين لتحسين مواردهم ورفع مستواها..

وقـبـل حلول عيد الفطر المبارك يؤتى بأناس مخصوصين لنفض الجلايل بالعصي لإزالة ما علق بها من تراب، ثم يتم غسل الجدار والرواشين بالمياه، وإذا إحتاج الأمر الى تجديد رخـام الـغـرف فيؤتى بمن يضع الرخام - صناعة محلية - على هذه الجدران، إذ لم تكن الـبـويـات الـزيـتـيـة والـبـلاسـتـيكـيـة والاستنمبر متوفرة في تلك الأيام.. والرخام حـار جداً يطفأ الماء فيغلي غليـانـاً عـالـيـاً، وحتى يبرد يضاف عليه الملح الحجري أو البحري..

ويشعر الناس في تلك الأيام بفرحة العيد



عـنـدمـا يـكـون راعـي الـبـيت قـد أمّـن لأهـلـه ولأولاده وبناته ملابس العيد الجديدة، تلك التي تجري خياطتها في داخل المنزل أو عند الخيـاطـين إذ كـان الـنـاس في تـلـك الأيـام يشترون كساوي أهلهم وأولادهم وبناتهم مع من يتفقدونهم من الأهل والأقارب إن كـانـوا في حـاجـة الى هـذا الـتفقد، أو الذين يـعـرفـون أنـهـم في حـاجـة الى تـأمين كسوة العيد لهم ابتغاء مرضاة الله وكسب الأجر والثواب..

نـعـود مـرة أخرى الى الـبـيـوت وأهـلـهـا عندما يأخذون في الثلاثة أيام الأخيرة من رمضان في إعادة فرش منازلهم لإستقبال المعايدين لهم من الأهل والأقارب والأصهار والأحباب ومن أهل الحارة وخارجها..

ولـلإشـارة الى حـلاوة هـذه الـذكـريـات نقتبس من كتاب (مكة في القرن الرابع عشر الهجري) لمؤلفه الأستاذ محمد عمر رفيع ما ورد عـن المفروشـات ووسـائل الإضـاءة في تلك الأزمنة الخوالي:

(مـفـروشـات الـبـيـوت والحجر تـخـتـلـف باختلاف الاستطاعة، فمن كان في سعة من الرزق نصب في حجرة أو حجرتين دكاكاً من الخشب يقولون عنها (كرويتات) وواحدتها كـرويـتـة تـوضـع عـلـيـهـا أولاً (طواويل) من الطرف وجرارات من القطن لإلانة الجلسة، تسبل عـلـى الـدكـاك وسـتـائـر مـن مختلف الأقمشة، وتحلى الستائر المذكورة بزخرفة مـن صـنـع الـقـطـان، يـقـولـون عـن الـسـتـارة (سجاني) واحدتها سجينة، ثم يضعون على الليانات القطنية غطاء من الحرير أو القطن الـنـاعـم ويـسـمـونـه (بـتـيـس) محلاة أطرافه (بـالـدنـتـيـلـة) ويضعون بين جلسة الشخص والآخـر مخدتين عـلـى بـعض رصـاً عـلـى الدكاك، ويحيطون جدار الدكاك بمساند من الـطـرف مـلـبـسـة مـن نفس الـقـمـاش الخاص بالستائر الآنفة الذكر.. وتغطى المساند الى النصف بغطاء من جنس الطوالات، وبعضهم يضع الطوالات مباشرة على الأرض في كثير مـن الأحـيـان ومما كـان يـسـتـعـمـل غـطـاء لـلـطـوالات حـنـابـل مـن الصوف، يسمونها حـنـابـل مـقـصـص مـن مـصـنـوعـات تـركـيـا وتستعمل أحياناً غطاءً للشقدف أثناء السفر الى المدينة المنورة أو الحج..

أما أراضي الحجر، ففي بيوت الأثرياء والـوجـهـاء والأعـيـان يـفـرشـونـهـا بـالـبسط الايرانية الصوفية، بل وكثير من متوسطي الحال يفرشون الحجر بها على اختلاف في الجودة.. والـفـقـراء ومـن هـم دون الـوسـط يفرشون غرفهم بحنابل من القطن مخططة بالأسود والأحمر والأزرق تجلب من الهند أو بـبسط يسمونـهـا (شمـال) تصنـع في جبال سراة الحجاز، أو في بيشة والطائف، تصنعها نسـاء الـبـاديـة بـأيـديـهـن..كل ذلك لازال

متعارفاً استعماله الى الآن وإن مازجه الكثير من مصنوعات أوروبا.

والحديث عن رمضان والسمر فيه يقودنا الى الحديث عن الإضاءة حيث كانت قبل القرن الرابع عشر الهجري في مدن الحجاز سواء في البيوت أو المساجد لا تعرف الا بالمسارج، والقناديل بالزيت، والشموع ولم تكن إضاءة الشوارع معروفة اللهم الا على بعض أبواب دور الوجهاء والأعيان.

وأول ما عرف الإضاءة بالبترول: الغاز أو (الكاز) على لهجة المكيين في عهد الأمير عبد الله باشا بن محمد بن عون، وضعت أول مسرجة (لمبة) كانت من اللمبات الزجاج المعروفة (بنمرة أربعة) في دهليز بيت الإمارة..وقد أخذ الناس يتقاطرون على مشاهدة هذا الضوء الوهاج الذي لم يكن لهم به عهد.. ومنذ ذلك التاريخ أخذت الاضاءة بالغاز تنتشر..وأخذ السماكرة يبدعون في أشكال الفوانيس التي توضع في جوفها اللمبات وتحليتها بنقوش وأنواع من الزجاج الملوّن..ثم أخذت تتوارد لمبات سميت (كشافات) بعضها للتعليق وبعضها للوضع على كراسي خاصة، وهي عبارة عن لمبة ذات فتيل مدوًر أقوى إضاءة وتوهجاً.. أما ما يتعلق منها فله صينية من الصفيح المدهون تعكس الضوء الى أسفل محلاة أطراف الصينية بإفريز مزخرف تتدلى منه شرابات من البلور والكريستال..

ثم توارت مسارج سميت (قمريات) لا حاجة معها الى ما يوضع على أعلى المسرجة من زجاج لامتصاص الدخان، بل هي مزوّدة بآلة تملأ كما تملأ الساعة، تدير مروحة صغيرة في جوفها تطرد الدخان، وجاء بعدها ما يسمى (الأتاريك) ذات فتيل مخصوص وتركيب مخصوص منها ما يعلق ومنها ما يوضع على كرسي، له ضوء الكهرباء، تمتاز في تركيبها بأنه يخالط الغاز من الثقب الى جوف الفتيلة بعد أن تشتعل بالأسبيرتو (الكحول) تظل بعدها مضيئة الى أن ينتهي الغاز أو يضعف ضغط الهواء.

أما الحرم المكي والمدني فقد ظلا في العهد العثماني والى آخر عهد الحسين بقناديل الزيت والشموع، فينار الحجر وباب الكعبة المشرفة بشمعدان من المعدن المموه بالفضة أو من النحاس الأصفر، وكانت الشموع ضخمة، تصنع خصيصاً لذلك.. كان حول المطاف سياج من القناديل المضاءة بها الأرواق.. وكان في الحصاوى أعمدة على شكل نخل مدلى من طرف كل جريدة قنديل



إذا أسرج كان منظره ظريفاً.

على أن الملك الحسين، في آخر عهده كان قد أضاء الحجر بالأتاريك، وأخيراً جلب آلة صغيرة أضيء بها المطاف.. وكانت حلقات الدروس التي تقام في المسجد الحرام يوضع بجوار المدرس فانوس يحوي شمعتين أو ثلاث.. أما الطلبة فكان يصحب كل واحد منهم مصباحاً يسمونه (لاله) وأظنها كلمة تركية.

الإحتفال بالعيد

نعود مرة أخرى للحديث عن الأطعمة اللذيذة التي تهيأ إستعداداً لاستقبال عيد الفطر المبارك كـ (الدبيازة) وهي خليط من قمر الدين واللوز الحجازي المحمر والمشمش والمجفف وحبات التمر المجفف بني اللون ياتي متشابكاً في خيط وهو أهم عناصر هذه الدبيازة وتصنع من السمن البري الممتاز. كما تزدحم الأفران بصواني (المعمول) وهو يصنع غالباً في منازل العوائل وله قوالب مخصوصة يحشى باللوز والجوز والفستق.. وبعضه يحشى بالتمر بعد جعله كالعجين يضاف عليه شيء من مسحوق الزنجبيل والقرفة والهيل..إلى آخر هذه التشكيلة الحلوة الزاهية، وكذلك أقراص الغُرَيِّبة الموشاة بحبات اللوز والإكليل الأبيض، وكل عائلة تتباهى بمعمولها.. كما يتهادونه في أطباق تضم بعض قطع المعمول مع قليل من الديبازة.. كما تشتري العوائل أنواعاً من الجبن الأبيض والتركي أو اليوناني مع أنواع من الزيتون وأنواع من المربيات يصنعونها في بيوتهم كالسفرجل والدباء.. وكذلك الاقبال على شراء حلويات العيد التي كانت تصنع محلياً وتلك التي تستورد من الخارج كالحلاوة الشوكولاته، والحلاوة اللوزية التي كانت تستورد من بعض الأقطار العربية، والحلاوة الليمونية أما المكسرات فكان بعضها جديداً، وبعضها قد دخله السوس..

وفي اليوم الأول من أيام عيد الفطر المبارك وقبل وبعد أداء صلاة العيد في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمساجد الأخرى تتعالى الأصوات بذكر اله (الله أكبر..الله أكبر لا إله الا الله..الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا..لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.. لا إله الا الله، الله أكبر ولله الحمد.. اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد.. وسلم تسليماً كثيرا).

وهذه من أحلى مباهج العيد ومظهره.. إن فيها ذكر الله وتعظيمه وتوقيره على ما

منَّ علينا من نعمائه وفضله، ثم تثنى بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ثم إن الضجيج بذكر الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم يعتبر بمثابة الدعاء لاستنزال رحمة الله وبركاته علينا.. فالمسلمون يعيشون مظاهر وحقائق محن سياسية واقتصادية لا تزال الا برحمة الله وبركاته.. ثم يذهب الناس الى بعضهم البعض ويحرصون أن يكون اليوم الأول للأهل والأصهار.. أما في الأيام التالية فتوزع على عدة حارات بحيث يذهب الأب الى أصدقاء معينين.. ويذهب أبناؤه الى آخرين، ثم يتبادلون الزيارات فيما بينهم بعد أن تسجل أسماء بعضهم البعض.. وكم كنا نمشي على أقدامنا بلباس العيد الزاهي ثم نعود وقد غرقنا في العرق وما علا وجوهنا من غبار وما أصابنا من كبد طول المشاوير وعرضها ونحن ننتقل من بيت الى بيت نتناول فيها القهوة والشاي أو العصير أو الماء البارد المبرد، وتقدم ثلاثة صحون عليها بعض المكسرات والحلوى المشكلة يتناول الضيوف ما يريدون منها، ثم يقوم المباشر بتغطية الصحون بقطعة جميلة من القماش حواشيها مطرزة بخيوط ذهبية وهذا ما يتم من الصباح الباكر حتى بعد صلاة الظهر ثم نعود في العصاري نوالي الزيارات لمن زارنا ولمن لم يزرنا بعد.. وبرغم التعب الذي كنا نشعر به إلا أن مشاعر التواصل في هذه المناسبة الكريمة تعتبر من أجمل المشاعر الزاخرة بالمحبة والمودة وبإزالة الجفوة إن كان ثمة جفوة قد حدثت بين هذا وذاك.. ويتبادل الناس فيما بينهم عبارات التهنئة (كل عام وأنتم بخير).. (من المقبولين إنشاء الله).. (جعلكم الله من العائدين الفائزين).. ويكون الجواب في الغالب إن شاء الله نحن وأنتم وجميع المسلمين.

أفلا يحمل معنى (العيد) هذه المعاني لغسل القلوب والنفوس مما ران عليها من كدر تجعل الواحد منا يشعر بكثير من الفرحة والبهجة عندما تصفو نفس صاحبه بزوال أسباب تلك الفجوة التي حدثت.. إن هذه المناسبات تعتبر من أحلى المناسبات لتصفية القلوب مما ران عليها لأن الجفاء بين الناس وتعكير صفو قلوبهم قد لا يجوز في الأعراف كما لا يجوز في سماحة ديننا الحنيف الذي أوصانا وشدد في توصياته بأن نزيل الجفوة وأن نعود الى بعضنا البعض بالصفاء والمحبة والوداد..

وهذه وتلك من أبرز ملامح الأعياد، وخاصة (العيدية) التي تحرك تطلعات الأولاد والبنات وخاصة الصغار لشراء لعبة، أو أكلات العيد الخفيفة المنتشرة في الأسواق أو الذهاب الى مواقع (المدارية) والتي تسمى الآن بـ (المراجيح).. وممارسة الألعاب الأخرى كالمكبت والبرجوة والكبوش مماسبق ذكره..

ناهيك عن الحفلات التي يقيمها سراة وأعيان القوم والقبائل احتفاء بهذه الأعياد.. ولازالت هذه العادة قائمة على عهدنا بها في منطقة الحجاز وفي نجد والمناطق الأخرى.. وإن كان بعض سراة القوم وأعيانهم وأثرياهم يفضلون قضاء الأعياد: منهم من يقضيها في الخارج.. ومنهم من يقضيها بين النوم والاسترخاء، أو على أحد الشواطىء أو في البراري القريبة من المدن، غير أن بهجة العيد تظل مرتسمة دائماً على محيا الناس وبالذات الأطفال في ذهابهم الى الملاهي البريئة من باب الشعور بالفرحة والإبتهاج.. وإن كانت هذه الملاهي تستمر طيلة أيام السنة، إلا أن الإقبال عليها في أيام العيد يزداد بشكل مكثف..

ولا ننسى الصلة البريدية أو البرقية أو الفاكس الذي فنَّ علينا أخيراً لتبادل التهاني من باب التذكير والإهتمام بالإصدقاء، وهي لاشك لطيفة ورقيقة إلا أن كثيراً من الناس لا يهتمون بها قدر إهتمامهم بالزيارة المباشرة الشخصية.. (ربنا ما يقطع لنا عادة إن شاء الله)..إذ هي مظهر من مظاهر التواصل بين أفراد المجتمع وهي أيضاً بمثابة تعبير عن المودة وصفاء النفس والقلب والفؤاد..

وتنفرد مكة المكرمة في أيام عيد الأضحى المبارك بانشغال الجميع في خدمة حجاج بيت الله الحرام فيما بين مكة المكرمة والمشاعر المقدسة لأن ذلك هو الموسم الذي تزدحم به مكة المكرمة عندما يؤجرون بيوتهم القريبة من الحرم، ولأن معظم السكان كانوا يستأجرون هذه البيوت وعند قدوم الحجاج يؤجرونها عليهم ويكتفون بغرفتين أو ثلاث في الأدوار العليا مما يسمى بـ (الدقيسي) و(الطيرمة) والأسطح التي حولها للإستعانة بموارد هذا التأجير لدفعها لأصحاب الملك أو الوقف كما يستفيدون مما يفيض من هذا الأجر للتوسع في أعمالهم أو للتوسع في إعطاء أهلهم وأولادهم وكسوتهم وسداد ما كان عليهم من ديوان للآخرين.. وللبيوت على كل حال أسرارها وأوضاعها التي لا تخفى على فطنة القارىء.. وعندما يغادر الحاج المنزل عائداً الى بلاده يتنفس أهل البيت الصعداء فيعودون مرة أخرى إلى إعادة أثاث البيت الى مواقعه ثم البدء في تبادل الزيارات بين العوائل والأرحام والأصهار.



لماذا وقعت على بيان (دفاعاً عن الوطن)؟

هناك الكثير من الموضوعات الهامّة التي تطرح للنقاش في مواقع سعودية على شبكة الإنترنت، حيث يفصح المتحاورون عن بعض من مكنوناتهم الداخلية وضمن هامش معقول من الحرية، بحيث يمكن رصد هذه الحوارات واعتبارها بشكل عام مؤشراً على اتجاهات الرأي العام السعودي، بأكثر مما تعبر عنه الصحافة والإعلام المحليين.هناك على شبكة الإنترنت، يقوم أفراد ممن يمكن اعتبارهم منتمين الى الطبقة الوسطى العريضة في المملكة بالتعبير عن اتجاهاتهم وميولهم وآرائهم. هؤلاء في مجملهم وكما يبدو من الحوارات العديدة مسكونين بأنواع مختلفة من الهموم الجمعية، لم تجد لها متنفساً في الإعلام المحلي، ولا يمكن طرحها إلا بكثير من الحذر حتى لا يحظر الموقع محلياً، مع أن أكثر المواقع الحوارية السعودية أصبحت محظورة.

ما يهمنا هنا، هو استجلاء للآراء المختلفة بين السعوديين في قضايا وطنية مصيرية بالغة الحساسية. وسنقوم في كل عدد بعرض قضية من القضايا، وآراء المختلفين، الذين لم يجدوا إلاّ مواقع الإنترنت لطرحها على بساط النقاش. الموضوع التالي منقول عن منتدى طوى:

http://bb.tuwaa.com/showthread.php?s=&threadid=25104

لا نملك فائضاً من الصبر لانتظار الإصلاحات!

وقعت على البيان، لأنني ـ في الإطار العام ـ أؤمن بحق الإنسان في التمتع بحياة حرة كريمة، في مجتمع تسوده قيم العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، وأن يتكافل فيه الناس لترسيخ ثقافة الحوار والتسامح واحترام الاختلاف وتبني مبادئ التعددية، وأن يرفضوا كافة أشكال مصادرة الرأي أو انتهاك حرياتهم أو حقوقهم في التعبير السلمي عن آرائهم وأفكارهم ومواقفهم إزاء مختلف شئون الحياة، كما ينبغي عليهم لتحقيق ذلك الهدف أن يتخذوا موقفاً واضحاً يدين كل من يخرج على هذا الإجماع أو يذهب إلى استخدام وسائل العنف والتطرف والإرهاب للتعبير عن موقفه وموقعه سواء كان هذا الطرف دينياً أو وطنياً أو أمنياً.

أما في المستوى الخاص، فإن الدفاع عن الوحدة الوطنية الضامنة لأمن واستقرار وتقدم المجتمع يغدو مهمة أساسية ومبدئية لكل محب لوطنه ومواطنيه، لذلك وجدت البيان يعبر عن ضرورة اتخاذ موقف إنساني ووطني وأخلاقي ووفكري واضح إزاء ظاهرة العنف المنتشرة في وطننا الغالي، ولذلك أيضا وقعت ـ مع كوكبة كريمة من أبناء وبنات هذا الكيان الكبير ـ على البيان لأنه يحلل ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب ويحدد مسبباتها لكنه في نفس الوقت يحدد بوضوح موقفه الرافض للتطرف وللعنف المسلح مهما كانت أسبابه ومن أي جهة أتى.

وقعت على البيان لأنه يطالب بالشروع الفوري في تنفيذ مطالب الإصلاح الدستوري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، الذي بلورته العديد من المقترحات والآراء والمطالب ومنها وثيقة(رؤية لحاضر الوطن ومستقبله)، لأن تطبيق الإصلاحات هو السبيل الأمثل للقضاء التدريجي على كافة أشكال الاحتقانات الاجتماعية، ومنها ظاهرة العنف المسلح والإرهاب.

وقعت على البيان لأنه يدين العنف والإرهاب الذي تقوم به فئة محددة من التيار الإسلامي العريض، ولكنه في الآن نفسه لا يدين التيارات الإسلامية المستنيرة التي تعبر عن وسطية الدين الإسلامي وسماحته واعتداله، متأكداً من أن هذه التيارات الراشدة تدين ذلك التيار المتطرف أيضاً، وذلك للمحافظة على أمن واستقرار وتطور كيان الوطن، ودفعاً لاستباحة دماء وحرمات الآمنين من أهل البلاد أو المقيمين فيها على السواء.

وقعت على البيان لأنه يقول (إن التصدي للإرهاب لا يمكن أن يتحقق من خلال الحلول والوسائل الأمنية وحدها، وإنما بتشخيص العوامل والأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المحركة له).

وقعت على البيان لأنه يطرح مخرجاً لأزمة العنف والعنف المضاد، وذلك من خلال مطالبة المشاركين في أعمال العنف والإرهاب والمحرضين عليه بالقيام بنبذ كافة أشكال العنف والتطرف والعودة إلى أحضان الوطن، وأن تحظى هذه الخطوة بعين الاعتبار من قبل الدولة، وأن يتم التعامل معهم وفق القوانين والأنظمة القضائية العادلة. وفي زعمي أن هذا الرأي يعبر عن عين العقل والحكمة ويسهم في تشكيل رأي عام وطني لا يقف متفرجا أو متعاطفا أو متشفيا، وإنما يقترح ـ بصدق ومسئولية ـ حلاً آنياً وبعيد المدى للأزمات المتراكمة، حيث يشير إلى أن الحوار والإصلاح هما المخرج من هذا الطوق الناري الملتهب الذي ما فتئت دائرته تتسع كل يوم.

وقعت على البيان لأنه يوضح أن (تأخرنا لمدة طويلة عن تبني الإصلاحات الجذرية وتغييب المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار قد كان من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في بلوغ بلادنا هذا المنعطف الخطير): منعطف الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، ومنعطف تفشي ظاهر العنف والإرهاب.

وقعت على البيان لأنه يدين العنف والإرهاب، ويطالب الحكومة بقيام جمعية وطنية تأسيسية مستقلة، مكونة من كافة الفعاليات الوطنية المعبرة عن تعددية الأطياف الثقافية والمذهبية والمناطقية في بلادنا، لوضع الآليات الكفيلة بوضع مطالب الإصلاح الدستوري والسياسي، والاقتصادي والاجتماعي، موضع التنفيذ.

لكل ذلك وقعت على البيان الذي أرجو قراءته والتأمل في دلالات أسماء المواطنين ـ رجالاً ونساءً ـ الموقعين عليه.

علي الدميني

* * *

نص العريضة:

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ورئيس الحرس الوطني حفظه

الله

يسرنا أن نعرض عليكم موقفنا الذي تبلور في البيان المرفق بعنوان (دفاعاً عن الوطن)، والذي يعبر فيه الموقعون عليه عن إدانتهم لكافة أشكال العنف والإرهاب الذي تتعرض له بلادنا، ويطالبون في نفس الوقت بضرورة البدء في تنفيذ عملية الإصلاح الجذري الشامل لكافة مؤسساتنا الدستورية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأن ذلك هو الرد العملي الناجع على كافة التحديات التي نعيشها في الحاضر والمستقبل.

الرياض في ٢٧ رجب ١٤٢٤ هـ
٢٤ سبتمبر ٢٠٠٣ م

(دفاعاً عن الوطن)

تشهد بلادنا أعمال عنف متزايدة تتوسل بالسلاح وإراقة الدماء، سبيلاً لإثبات وجودها وفرض وجهات نظرها، بديلاً عن الكلمة والحوار، مما سيلحق أفدح الأضرار، بالأمن الوطني والاستقرار الاجتماعي والسلم الأهلي. وفي مثل هذه الظروف الصعبة، التي يواجه فيها وطننا أقسى التحديات الداخلية والخارجية، يصبح التعبير عن رفض واستنكار ظواهر التطرف والعنف بكافة أشكاله، ضرورة وطنية وسياسية وأخلاقية وثقافية. وانطلاقا من إيماننا بأننا شركاء - شعباً وحكومة - في الحفاظ على استقرار وأمن ووحدة الوطن، فإننا مدعوون جميعاً لتحمل مسئولياتنا ومراجعة خطواتنا، والإقرار بأن تأخرنا لمدة طويلة في تبني الإصلاحات الجذرية، وتغييب المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار، قد كانت من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في بلوغ بلادنا هذا المنعطف الخطير، ولذا فإننا نرى، أن حرمان مكونات المجتمع السياسية والفكرية والثقافية من حقها الطبيعي، في التعبير عن آرائها قد أدى - فعليا - إلى سيطرة اتجاه محدد، عاجز بحكم تكوينه عن الحوار مع الغير، وأن هذا الاتجاه الذي لا يعبر عن سماحة الإسلام ووسطيته ولا عن تياراته المستنيرة قد ساعد على نشوء الفكر الإرهابي والتكفيري الذي لا تزال بلادنا تصطلي بناره.

إن التصدي للإرهاب لا يمكن أن يتحقق من خلال الحلول والوسائل الأمنية وحدها، وإنما بتشخيص، العوامل والأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المحركة له، والشروع الفوري في تنفيذ الإصلاحات السياسية والاقتصادية، التي بلورتها العديد من المقترحات والآراء والمطالب التي عبرت عنها كتابات وخطابات المهتمين بالشأن العام في بلادنا، ومنها مذكرة رؤية (لحاضر الوطن ومستقبله) التي تم تقديمها إلى سمو ولي العهد يحفظه الله، في شهر ذي القعدة (يناير) الماضي، والتي تضمنت المطالبة، بقيام المؤسسات الدستورية للدولة، وإفساح المجال لتحقيق المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار، وانتخاب مجلس الشورى، وتمكينه من ممارسة كافة الصلاحيات التشريعية والرقابية المناطة بمثله، وتطبيق مبدأ الفصل بين السلطات، وتدعيم استقلال القضاء، واحترام حقوق الإنسان، وتشريع عمل مؤسسات المجتمع المدني، والعمل على تطوير خطاب ديني وإعلامي وثقافي وتعليمي، يرفض الأحادية والتكفير والادعاء بامتلاك واحتكار الحقيقة، ويسهم في تطوير مناخ التعددية وإتاحة المجال لترسيخ قيم ثقافة التسامح والقبول بالآخر المختلف، سواء ضمن الدائرة الوطنية والإسلامية أو على الصعيد الإنساني، وأن تلك الآراء والمطالب قد عبرت عن تطلعات مختلف فئات الشعب السعودي، وشكلت - في مجملها - رؤية مشتركة بين القيادة السياسية ومختلف الفعاليات الوطنية.

كما نرى أن القضاء على مظاهر الفساد الإداري وهدر المال العام، وتوسيع القاعدة الإنتاجية، وتطبيق مبدأ التوزيع العادل للثروة على كافة الشرائح الاجتماعية والمناطق المختلفة، وطرح الحلول العملية لمشاكل الفقر والبطالة، والتعليم والصحة، والإسكان، وتمكين المرأة من أداء وظائفها الاجتماعية والاقتصادية، وسوى ذلك من القضايا الملحة لن يتأتى إلا عبر تنفيذ المطالب الإصلاحية الشاملة.

وإننا، في الوقت الذي نعلن فيه، عن إدانتنا واستنكارنا لكافة أشكال التطرف والعنف المادي والرمزي، التي تسعى لاختطاف المجتمع، وتدمير مقومات وأسس الدولة، فإننا نطالب المشاركين في هذه الأعمال والمحرضين عليها، بالقيام بنبذ كافة أشكال التطرف والعنف والإرهاب، قولاً أو عملاً، آملين أن ينظر إلى مثل هذه الخطوة بعين الاعتبار، من قبل الجهات الرسمية، وأن يتم التعامل معهم وفق القوانين والأنظمة القضائية العادلة، كما أننا نؤكد من جهة ثانية، على مطالبتنا المستمرة للقيادة السياسية بالإعلان عن مبادرة وطنية شاملة - طال انتظارها - بقيام جمعية وطنية مستقلة، مكونة من كافة الفعاليات الوطنية المعبرة عن تعددية الأطياف الثقافية والمذهبية والمناطقية في بلادنا، وذلك لإنجاز الآليات الكفيلة بوضع مطالب الإصلاح الدستوري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي موضع التنفيذ، والانتقال من مرحلة اعتماد منهج الإصلاح إلى مرحلة الفعل والتنفيذ وفق جدول زمني معلن.

حفظ الله بلادنا وأهلها من كل مكروه وسدد خطاها على طريق الخير.

* * *

أحسنت، وبأمثالك يسير الوطن الى الأمام.

* * *

الأخ الفاضل علي الدميني،،

كثرة الدق تفل الحديد، وأتمنى أن يلين الحديد قبل أن تنهار الأمور، وبعدها ولات حين مندم. الفساد منتشر، والشفافية معدومة، وأهل الحل والعقد لا زالوا يفكرون بمنطقهم القديم. الشباب الآن، وبعد انتشار البطالة وقلة التعليم الجامعي بسبب قصورة وضيق الاستيعاب فيه، بدأ ينخرط في التيارات الفكرية المنحرفة، وبدأ أيضا يبحث في أروقة الجريمة. سيروا وأكثروا من الضغط، لعل الأمور تتحسن قريبا.

* * *

بوركت هذه الاسماء الناصعة الطاهرة وعني وعائلتي نتضامن مع هذه الطلبات المباركة.

* * *

شكرا للمتابعة والاتفاق حول المضامين الاساسية التي حواها البيان. فالمهم هو تشكيل رأي عام حول تلك القضايا المحددة بإدانة الارهاب والمطالبة بالبدء في تنفيذ الاصلاحات الجذرية الملحة بغض النظر عن من وقع او الذي لم تتح له الفرصة للتوقيع، ومع ذلك فالتعبير عن الاتفاق مهم ومفيد. علي الدميني.

* * *

بارك الله فيكم.. قلبي معكم. لكم جميعا أحلامنا الخضراء، وأماني لا تنقطع بأن نرى وطننا في أفضل حال. لكم جميعا الحب والدعاء.

* * *

شكرا لكم جميعا: انتم شرفاء لانكم حملتم هم وطن ومجتمع ومستقبل واجيال. طالبتم بما هو اعظم واشرف من المنصب والمال والمكاسب الفردية. نعم وقعتم على بيانات شرف وكرامة وحقوق أمّة. أنتم تصنعون التاريخ. هنيئا للوطن بكم. شكرا لمن بادر، وشكرا لمن نسق، وشكرا لمن وضع اسمه وتوقيعه، وشكرا لمن ساند، وشكرا لمن تفهم، وشكرا لكل من يحمل هم وطنه ومستقبل اجياله.

* * *

مع الاسف اخي الكريم فالبيان ينضح بالخصومه للتيار الاسلامي العريض ويحمله مسئولية الاحداث الحاليه، والاحداث هي كما يعلم الجميع بسبب العديد من الاخطاء التي ارتكبت داخل البلاد وخارجها من قبل الرسمي وليس الشعبي، وانت اول من يعلم ذلك. ولاشك ان هناك العديد من الاسباب الاخرى مثل عدم توزيع الثروة، والفساد، وغياب التخطيط بشكل

مطلق، وعدم التصدي وبشكل حازم لمشاكل البلد الحقيقة رغم سهولة حلها. ومع ذلك اتفق مع كثير مما جاء في البيان، ولكن لا اقبل كل ما جاء حول التيار الاسلامي صراحة او غمزا.

* * *

لك مني التحية وكامل الصدر المنفتح على الصراحة والحقائق. هذا البيان يطالب الحكومة بضرورة الشروع الفوري في تطبيق مطالب الاصلاح الشامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والذي تتفق معي فيه. ولكن البيان، ايضا، ورغم توقفه امام ظاهرة الارهاب وتحديد مسبباتها إلا أنه يدين الارهاب مهما كانت اسبابه، وإذا ما توقفنا امام تساؤلك عن اتهام التيار الديني بالارهاب فلنكن صرحاء ولنتساءل بوضوح: من الذي يقوم بأعمال العنف المسلح؟ هل هم فئة أتت من المريخ أم من القطب المتجمد، أم أنها فئة بينها أبناؤنا وأبناء أصدقائنا ومعارفنا؟ هل رفعت هذه الفئة ومن ورائها في الخارج والداخل لافتة غير اللافتة الاسلامية أم أنها علقت لافتة الفرقة الناجية؟ هل هي فرقة تم اختراعها وتلفيق التهمة لها أم أنها إحدى الفرق الاسلاموية التي تشتغل بالسياسة وتحفل بلادنا بعشرات التيارات منها والتي تصل في خصومتها مع من عداها الى درجة تكفير بعضها ناهيك عن تكفير الآخرين. إن تيار العنف يعبر عن رؤية تيار محدد ينتمي للتيارات الاسلامية وبالتالي لم نقولها ما لم تقله، ولكننا لا نتهم كل التيارات الاسلامية الراشدة او ندينها لان فصيلا منها لجأ إلى السلاح والعنف والارهاب للتعبير عن أفكاره. لا.. نحن نشير إلى الأسباب التي ساعدت على نشوْ هذا التيار ولا نبرئ احدا منا من تبعات ما يرتكبه هذا التيار، لأننا أفسحنا المجال له لأن يحتكر كافة المنابر الاعلامية والتعليمية ولم نسمح لغيره بالعمل، فحدث أن اختطف ابناءنا وشبابنا في فورة الحماس الصحوي السياسي الاسلاموي الذي غذته امريكا وهو يعمل على إقامة دولة طالبان الجديدة على ترابنا وعلى منجزاتنا وعلى آمالنا. لذا ينبغي إدانة طريقة التعبير بالسلاح مع التأكيد على حق كل تيار في ان يعبر عن افكاره بالطرق السلمية. أما حين يلجأ إلى العنف المسلح فلا يجب على عاقل ان يسمح له بذلك، بل ينبغي إدانته بوضوح وصراحة مع مطالبة الحكومة بضرورة حل كافة الاشكالات التي تساعد على تنامي ظاهرة العنف والارهاب باسرع وقت.

* * *

الكريم والعزيز علي الدميني. دعني اتوقف اولا عند هذه الجملة من البيان (دفاعا عن الوطن): (فإننا نطالب المشاركين في هذه الأعمال والمحرضين عليها، بالقيام بنبذ كافة أشكال التطرف والعنف والإرهاب، قولاً أو عملاً). كنت افضل ان تكون (قولا وعملا) ولكن لايهم. هذه الجملة تتفق مع الخطابات الصادرة من رموز الدولة ممثلة بالملك وولي العهد بعد تفجيرات الرياض، والتي اكدت على ان من يدعم او يبرر الارهاب فهو مجرم مثله مثل المجرم الارهابي نفسه. ولكن مالذي حصل؟ يأتي رد العديد من رموز هذا التيار سريعا، فأحدهم (العريفي) في لقاء تلفزيوني لم يتطرق للحدث بكلمة ادانة بسيطة واحدة، بل وضمن كلامه مدح الارهاب والقاعدة ونقد من ينتقدهم. وآخر، قاضي في المحكمة الكبرى بالرياض، يبرر هذه الاعمال بأن الاعلام في ايدي (العلمانيين) وان الفساد انتشر وان العلماء حجم دورهم (لم أرَ صفاقة اكثر من هذه). وآخر (الحوالي) يجري الاتصالات معهم ويرسل رسائله المشفرة لهم عبر خطبه وندواته ويتفاوض مع الدولة نيابة عنهم، ولو تابعت جيدا بياناتهم وتصريحاتهم بعد التفجيرات لوجدتها تتلون حربائيا في لكننة وغنغنة كالذي يمشي على بيض لايكسره. فإن أدانوا الارهاب والتفجيرات ارفقوها بسلسلة من اللكننات التي تبرره، وان لعنوا أمريكا ارفقوها بالدعوات ان ينصر الله المجاهدين في كل مكان و(المجاهدون) و(كل مكان) هذه من المعلومات بالضرورة عندهم. بل ان احدهم حين احرجه السائل قال بما معناه (لا نرى ان هناك حاجة للجهاد في ارض الجزيرة العربية). وارض الجزيرة ايضا هنا تعني وطنه السعودية التي يرفض الاعتراف بها كما اوصاه خليله القابع في جحور تورا بورا.

ما أثارني ايها الكريم انك تتسائل بمنطق، ولكنك لن تجد لديهم منطقا ولا موضوعية، فطالما ظلوا يتلونون ويتمنطقون حتى لايعترفوا بمشكلتنا جميعا (ليسوا وحدهم) فلن تصل معهم لحوار عقلاني ونتيجة مشتركة، وهذا هو اس المشكلة.

* * *

الاخ علي مع الاسف الشديد فإنك لا تريد ان تتخلى عن خصومتك، ولكن اود أن اذكرك ان احداث الحرم قام بها ايضا متدينون وكان لهم ظرفهم وفهمهم الخ. وهذه الاحداث يقوم بها مواطنون واجانب وهم ايضا متدينون، ولكن ليس الدين هو السبب ولا حتى التيار الديني العريض ولا المساجد ولا المدارس ولكن السبب الاول هو خارجي له مسبباته الداخلية. السبب الحقيقي هو الارتماء في دهاليز السياسه الامريكية دون روية ودون تخطيط ودون وضع خطوط رجعة واضحة. اتمنى أن لا تنسى ان افغانستان كانت حربا امريكيه خاضها حلفاء امريكا بالوكالة، وكان لبها أن نحارب الكفار ونطردهم من ارض المسلمين. وبعد انتهاء الحرب ماذا حدث؟ هنا كانت الكارثه التي اغمض الرسمي عينه عنها، وبدل احتواء المشكله تم كما يقول المثل الشعبي تطنيشها، وتم عمل ترانسفير لها الى البوسنه والشيشان وكشمير وكردستان، واليوم بعد أن تفجرت القنابل لدينا والتي صنعناها نحن وساهم فيها اخرون، نريد أن نحمل المسئوليه للتيار الاسلامي، وذلك تماشيا مع رغبة الاخر وليس لان ذلك هو الحق. عزيزي الحل هو واحد فقط: العدل ثم العدل ثم العدل. واتمنى منك أن تكون عادلا مع نفسك اولا وبالتالي تكون موضوعيا حتى نصل الى الحق. والمشاكل الداخليه لابد أن تعالج بالحكمة والحوار والتخطيط، ولايمكن أن تحل بالعنف.

* * *

السؤال الاهم: لماذا وقعت على البيان؟ هذا سؤال هام، واجاباته كثيرة وقد يختلف كل منا في هدفه من توقيع البيان لكننا يجب ان نتفق اننا فعلنا ذلك لاجل وطننا. شخصيا اجد صياغة البيان فيها الكثير من روح الوطنية واتألم حين يشكك البعض في نوايا الموقعين، واتساءل: هل من المفروض في توقيع مثل هذه البيانات ان نعرف السيرة الذاتية لكل من وقع؟ هل شققنا عن قلوبهم؟ كانت هي المرة الاولى التي اوقع فيها. تخيلت اني احادث الامير عبد الله بكل شفافية تخيلت وجه وطني وهو يبتسم، تخيلت اياديه البيضاء تربت على اكتافنا فتطول قامتي، لكن ذلك لم يكن مقنعا لبعض الاصدقاء والناصحين - الذين اعرف محبتهم واقدرها - لمثل هذه الخطوة، ثم اقرا هنا حوارات حول البيان فادرك عن (قرب) واعرف معنى ان يشكك الناس بنوايا بعضهم بهذا الشكل. في كل مجتمع توجد احزاب وطائفية وعنصرية، لكننا الان احوج ما نكون الى التمسك باهداب النوايا الحسنة في حوارنا مع الاخر. من المزعج ان تضطر الى تبرير موقف ما اتخذته او اي قرار اعلنته، لكن يبدو ان قدر المثقف ان يؤكد دوما وطنيته لانه في فوهة المدفع. ناهد باشطح.

* * *

عندما تحاول فئة ضالة اختطاف القرار الوطني عن طريق الإرهاب بكافة أشكاله المادية والمعنوية، بالتالي يكون من غير الجائز أخلاقيا ووطنيا السكوت عن تلك الممارسات التي نراها في طول وعرض البلاد. هؤلاء الكوكبة الذين أتيح لهم قراءة البيان ومن ثم التوقيع عليه يؤمنون بالحوار الوطني بين كافة تياراته الوطنية والدينية والمذهبية، وبالنضال السلمي. إنهم ليسوا دعاة هدم وفوضى وقتل. هم دعاة إصلاح وتطوير وبناء من أجل غد أفضل، يجد فيه المواطن العدل والأمن وكافة حقوقه الإنسانية التي كفلتها

تعاليم الدين الإسلامي السمح والمواثيق الدولية واجتهادات البشر. سعود الجراد.

* * *

بريكم أسالكم: هل بقت أي دولة خليجية بدون دستور وإنتخابات سوى المملكه؟ الإصلاح كلمة مهذبة للمطالبة بحقوق الإنسان من عدل وحرية ومساواة! هذا هو نبراس العالم الجديد شئنا أم أبينا وأؤكد هنا أننا إذا لم نكن عقلاء ونصلح أمورنا من الداخل فسيأتي الإصلاح قسرا وفرضا من الخارج. لامكان فى العالم الجديد لدولة السيد والعبد. المجتمع الإنسانى الحديث لا يقبل بالنماذج الفاسده.

* * *

الأخ علي الدميني. البيان بمنتهى الروعة، وليته كان اشمل. أؤيد البيان تماما، لكن هذا البيان كان حكوميًا. واضح تماما، ولست هنا أخطئ البيان لمجرد كونه حكوميًا، فهو صحيح إنما هو حكومي قبل كل شيء، وقد لمس البعض هذا البعد مثلي.

* * *

ابا عادل.. ويا كل الشرفاء في هذا الوطن.. استمروا.. نحن معكم. لا تلتفت لما يقول كاتب سلطوي أخرق (أو أحول) يداري سوءاته بوضع العصا في دولاب الاصلاح الوطني. لا تلتفتوا الى ما يقول.. لقد طواه الزمن.. وألفيا سيده لدى الباب (سيرحل ويرحلون) ويبقى الوطن.. حراً خالصاً لأبنائه. استمروا.. ودعموا حركتكم بدماء الشباب.. ورصعوها بالتلاحم الوطني الخلاق والمبدع.

* * *

حقيقة انا لا اعلم هل اسماء الموقعين على العريضة شملت جميع مناطق الوطن فالاجماع يجب ان يكون ليس في نقطة معينة كالتوجه او المهنة وما شابه، بل يجب ان يشمل اهمها وهي الجغرافيا.

* * *

صفقنا لك كثيرا، ووقعنا بنبض قلوبنا، وسنوفر صفقات ايدينا لنجعلها في وجه من يعارض بيانك عمليا.

* * *

أيها الدميني.. لماذا أشعر بأن هذا الوطن كما طفل يتيم.. يبحث عن الآخر ليمسد شعره الأسود الداكن؟! (غصّة) تستوطنني حد الإرعاف كلما تذكرت أننا لازلنا ننحر الأقلام ونريق المداد. ما أصبرك أيتها الأقلام؟ أوقع ياعلي إن كان في الأمل بقايا، ولست بيائسة.. لكنه الصبر.. فر هارباً.. فبلغوا عنه!

* * *

كم كنت اتمني والكثير غيري ان تكون لنا الفرصه للتوقيع لانه لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يمثل السواد الاعظم من الشعب فقط ١٥٠٠ شخص. الا تعتقدون انه كلما كانت الاعداد اكبر كلما كان مفعولها اقوى؟ نحن مع الاسف لا نتعلم من تجاربنا السابقه عندما خرجت عشرات السيدات يطالبن بالسواقة، اليس الاجدر ان يكون هناك تنسيق لتعم الفائده ونخرج بنسبه عاليه من التأييد؟ نحن لا نرغب ان تضيع الفرصه تلو الفرصه دون الخروج بمردود تعم الفائده فيه.

* * *

أقف في صف التأييد لما ورد في البيان ولكن مالفائدة من التوقيع اذا كان المعني بقراءة البيان لا يستطيع القراءة لكبر سنه؟!

* * *

استميح الموقعين علىالبيان العذر لما قد يفهم من حديثي أنني انوب عنهم ولذا يهمني التأكيد على أنني أتكلم باسمي فقط ولا يتحمل غيري تبعة آرائي التي قد تفيض او تقصر عن موازاة حرفية ما طرحه البيان او ما يوحي به من ظلال للمعنى وللآلية. و حيث ليس أمامي إلا التأكيد على قراءتي لهذا البيان فإنني ارى أنه يهدف إلى تكوين رأي عام اوسع من عدد الموقعين عليه بشأن اتخاذ موقف وطني واضح يطالب بالبدء في تنفيذ المطالب الاصلاحية التي تتفق عليها وتنادي بها أغلب فئات الشعب نساء ورجالاً، وأن يتم في نفس الوقت رفض كافة أشكال العنف المسلح والارهاب الذي يهدد أمن بلادنا واستقرارها ومسيرتها على طريق التنمية واللحاق بركب الامم المتحضرة. إن تطبيق الديمقراطية وحقوق الانسان وكفالة تحقيق مفهوم المواطنة والمصالح العليا للوطن بتبني آليات المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار باتت في حكم الاستحقاقات الملحة التي لا تحتمل تأجيلا أكثر مما حدث، وأن البدء في تنفيذ خطوت الاصلاح سوف تسهم في تحصين بلادنا ضد الكثير من مخاطر المعضلات التي نجابهها ومنها ظاهرة العنف والارهاب.

الاصدقاء العاتبون: لم يكن سهلا الوصول إلى كل الذين يتفقون على هذا البيان للتوقيع عليه ولكنني أعتقد أن الباب أصبح مفتوحا للحديث عن نقاط الالتقاء والافتراق ايضا مع مضمونه، وأنني على ثقة بأن صدى أصوات من يتداخلون مع البيان هنا أو في اي موقع آخر ستكون أكثر جدوى ووصولا إلى المتابع. علي الدميني

* * *

مع احترامي لك ولكل الموقعين على البيان فإني أرى من وجهة نظر شخصية أن بيانكم سيكون مجرد ملف يوضع في الدرج كسابقه من البيانات المشابهة والمخالفة. إن أول خطوة في الإصلاح هي السماح بتشكيل الأحزاب والنقابات وانشاء مؤسسات المجتمع المدني ومن ثم وضع دستور مكتوب للبلاد يطرح في استفتاء شعبي على ضوئه تتشكل الحكومة المطلوبة ويشعر كل فرد بحقه في المشاركة واختيار ممثليه مع استمرار المؤسسة الملكية في دورها الوحدوي. وفي اعتقادي أن ذلك لن يتحقق في بلادنا بسبب القوى المسيطرة في الوقت الراهن سواء كانت دينية أم سياسية أم قبلية وخشيتها من أن تفقد نفوذها وسيطرتها.

بقراءتي للبيان رأيت أنه يضع اللوم على طرف واحد فيما وصلنا اليه من عنف والحقيقة أن الجاني مجموعة أطراف هم الداعم والسامح بالدعم وصاحب الفكرة ومروجها وأخيرا المنفذ. وأترك التفصيل لمحاذير معروفة. الغريب في الأمر أن بعض من يروجون للفكر المتطرف لا يزالون يخطبون ويعظون بل يلقون المحاضرات وبإذن رسمي.

* * *

أتفق معك حول ما طرحته من ضرورة السماح بتشكيل الاحزاب والنقابات وكافة آليات التعبير عن تشكلات المجتمع المدني وإنجاز الدستور واستفتاء الشعب عليه كأساس لعملية الاصلاح الجذرية التي تطالب بها كافة فئات الشعب السعودي. ولكن هل يمكن تحقيق تلك المطالب بدون الاصرار على تأكيد أهميتها بشتى الوسائل المطلبية ذات الطابع السلمي، ومنها الكتابة الفردية والجماعية؟ لا نملك فائضا من الصبر ولكننا ايضا لا نملك إلا الطرق على الأبواب، وما زالت صرخة سائق الوايت في رواية غسان كنفاني (رجال تحت الشمس) ترن في اذني حينما صرخ بالرجال المحتجزين داخل خزان الوايت - والذين فارقوا الحياة داخل الخزان - قائلاً: (لماذا لم تطرقوا على جدار الخزان؟ لماذا لم تطرقوا بقوة لكي اسمعكم؟). يا صاحبى لحسن حظي او لسوئه مازلت واحداً من المتفائلين والمستمسكين ببريق الأمل - مثل الكثيرين هنا - في وصول الصوت إلى حيث ينبغي له أن يصل بغض النظر عن رمزية فريدمان او ضغوطات ماما أمريكا. علي الدميني.

أيها الإسلاميون السعوديون..

هل بينكم ليبرالي راشد؟

مجاهد إبراهيم عبدالمتعالي

لقد تساءل الكثير عن الليبرالية في السعودية واحتمالات نجاحها، ولا زلت أذكر حديثي مع مندوب إحدى المنظمات الغربية الداعمة لهيئات حقوق الإنسان في الوطن العربي. لقد كان عتبه واضحا عندما قال: إسمح لي أن أعرب عن إعجابي بالإسلاميين في المملكة السعودية، أما التيار الليبرالي فهو تيار ضعيف وغير متماسك. إن الإسلاميين عندكم متحدين بشكل يدعو الليبراليين لمزيد من العمل. إنتهى كلامه.

عندها فقط بدأت بالتساؤل: لماذا الليبرالية السعودية ضعيفة بهذا الشكل؟ صحيح أن الليبرالية في السعودية قديمة قدم الحجازيين، ولكن كما ذكر جون حبيب في كتابة (الإخوان السعوديون) فإن الوهابية قد قامت بخنق هذا التيار أو لنقل هذه الإيديولوجية في أضيق نطاق، لكن الطبيعة المتحضرة لأهل الحجاز كانت أكثر مقاومة لهذا المد. أعود فأقول: إنه رغم قدمها، فالدعم الحكومي المتوجه للتيار الإسلامي جعل الإيديولوجية العامة تسير لصالح الإسلاميين السلفيين، بل إن المكاسب التي حصدها الإسلاميون عن طريق إرهاب الدولة جعل المملكة السعودية بعد وفاة الملك فيصل تتنازل حتى عن التوجهات البسيطة والساذجة المتمثلة مثلا في ظهور المطربات في التلفاز السعودي. المهم أن حركة جهيمان العتيبي وطدت لدعائم القوة الإسلامية، وقبل ذلك كان صوتهم منطلقا من خلال إذاعة القران الكريم ونداء الإسلام، بينما التيار الليبرالي لم يعط مساحة سوى في إذاعة الرياض وجدة والتلفاز العام، مع أن الأمر في الباطن لا يعدو أن تكون هذه الإذاعات تحت رقابة حراس الفضيلة من الإسلاميين.

كل هذه الهزائم الليبرالية جعلت الإسلاميين يضعون بصمتهم الواضحة على ذهنية عموم المواطن السعودي، فحتى غير (المطوع) أصبح يدافع عن مفاهيم الفضيلة المتوهمة من قبل الإسلاميين كمنع قيادة المرأة للسيارة مثلا.

بعد هذا الإستعمار الفكري، وقع ما يسمى بالرفاه الديني، فأصبحت قضايا المواطن السعودي لا تتجاوز مسائل الحيض والنفاس.. الخ، لكن حادثة ١١ سبتمبر جعلت هذا الرفاه يزول لتبدأ التساؤلات ذات الطابع السياسي. وللدقة فحرب الخليج الثانية كانت نواة لبدء زوال فقة الحيض والنفاس من قاموس المواطن ولكن تحولها لمستوى نقاش ظاهر إتضح بعد غزوة منهاتن كما يسميها الإسلاميون السلفيون!، وقد ظهر بعد ذلك الغطاء الشرعي الوهابي كخيمة البدوي التي يريد أن تقيه ثلوج أوروبا! فالعولمة مفهوم آخر غير مفهوم الثورة الإيرانية التي لا يستدعي مقاومتها أكثر من فك الحبل للوهابية لتمارس صلفها لمقاومة المد الثوري. وكذلك حصل مع الشيوعية التي لم يستطع الوهابيون هزيمتها لولا الغطاء الغربي الداعم لها آنذاك.

الإسلاميون السلفيون في السعودية ليسوا منظمين تنظيما حضاريا مدروسا كما يظن، بل الدعم المالي منقطع النظير حال دون بروز العيوب وقد ظهر لنا ذلك الآن، إذ أن أغلب الجمعيات تعاني من نقص حاد في تحديد مصادرها وجهات إنفاقها، فالعمل كان يسير ببركات السماء والمال وفير جدا جدا حتى لو كان القانون هو (كل من إيدو إلو) سواء أكانت اليد متطرفة أم معتدلة، إذن فوفرة الدعم غطت على عيوب التنظيم.

أما بالنسبة لليبرالية السعودية، فالحقيقة أن هذه المرحلة بالنسبة لها هي مرحلة جمع الشتات والظهور بشكل منظم تحت غطاء شبه حكومي لم يتوفر لها سابقا، رغم أن المتأمل لألوان الطيف الليبرالية يجد أنها مزيج من بقايا شيوعية، ناصرية وقومية عربية، علمانية، إسلامية متحررة، شيعة، وجيل جديد قادم بقوة وجد أن دعوى التدين السعودي لم تعالج مشاكل بطالته وقبل ذلك صراعه مع نفسه حول ما يتلقاه كأدلجة، وما يعيشه وما يراه، فبحث عن الليبرالية لعلها المنقذ لوضعه الاقتصادي والفكري السيء (طبعا الإسلاميون السعوديون هم أيضا مزيج من الإخوانية، السلفية، المدخلية، السرورية، الجامية.. الخ).

الحجاز مهد الليبرالية وهو من استطاع مقاومة المدّ السلفي المدعوم حكومياً

كل هذا المزيج الليبرالي المعقد في هذه المرحلة يجعلنا نظن أن الطريق صعب لصنع تيار ليبرالي متزن يستطيع أن يقود الشعب وفق مفاهيم جديدة من الوطنية والولاء، لكن من وجهة نظر ميكافيللية فإن قبض زمام الحكم تحت دعوى الحق الإلهي أفضل بكثير من أي غطاء آخر. لكن عموم الوعي الشعبي المنفتح جعل الكل يبحث عن غطاء آخر، فحتى رموز السلفيين أصبحوا يبحثون عن الحماية الحكومية للحفاظ على مصالحهم. فعبارة (لحوم العلماء مسمومة) لم تعد تلق البريق السابق في نفس المتلقي.

لماذا لا يوجد لليبرالية السعودية مشروع حقيقي ظاهر للعيان كمشاريع السلفيين السابقة في تحويل السعودية إلى طالبان أخرى ـ لكن بخطوات تدريجية ـ وذلك باستمالة بعض أبناء الأسرة الحاكمة لدعم هذا التوجه وبالمقابل إعطاء وهم الحب الشعبي؟

إن الليبرالية السعودية في هذه المرحلة التي سمح لها بالتنفس لا تتجاوز مرحلة جمع الأنصار والتغلغل في عقلية المواطن الذي ما زال يحن لأيام الإجازة بسبب صلاة الاستسقاء، ومرحلة السعوديين الحالية كما يعلم الجميع بحاجة إلى وقفة صادقة يستشعر من خلالها المواطن بالأمان الشعبي العام، وهذا ما توفره الليبرالية من خلال طرحها لمفهوم الوطنية التي تعني العيش بأمان وعدالة للجميع على اختلاف الإنتماءات الطائفية والعرقية.

والسؤال: هل الليبرالية بحاجة إلى غطاء ديني؟

أي تيار فاعل بحاجة للشرعية وهذه الشرعية يجب أن تستخرج من مفاهيم بسيطة يمكن للفرد العادي تقبلها. ولهذا فالأمل معقود بالإسلاميين المتحررين الذين إستطاعوا الوصول لمفاهيم أوسع تستطيع التوفيق بين المتغيرات العالمية والوسط المتخلف للمواطن السعودي. تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة أن يبادر الإسلاميون الذين يتمتعون بمفاهيم ليبرالية صادقة والحذر من ميكافيللي الإسلاميين الذين لم يستطيعوا حتى الآن الإجابة على تساؤل حول الشيعة: هل بإمكان الشيعي إقامة قضية تمييز أو إنتهاك لحقوقه الدينية لتعرضه لسب أو شتم أو تعرض البعض لشعائره الدينية بالإحتقار والإهانة؟ هل سيقبل الإسلاميون المتزلفون بمحاضرات وندوات التعددية والتسامح وقبول الآخر أن يدافعوا بأنفسهم عن حق الشيعي في التمسك بمذهبه واحترامه دون عبارات عائمة تقبل التأويل؟ وهل سيقبل القضاء السعودي مثل هذه القضية ليصدر عقوبته على من يحتقر سعوديا شيعيا كامل المواطنة؟ هل نسينا أنه أصبح سعوديا منذ شهادة ميلاده قبل أن يصبح شيعيا في سن الإدراك؟!

(نقلاً عن إيلاف)

آل الشيبي: سَدَنة الكعبة المعظمة

عائلة عريقة اشتهرت بسدانة الكعبة، وقد نبغ منها عدد كبير من العلماء من بينهم:

* **محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي الشيبي** (...-١٢٥٣هـ). ولد بمكة المكرمة وتولى السدانة ٤٣ سنة، وكان عالما فاضلا. توفي في مكة المكرمة.

* **سليمان بن محمد بن زين العابدين الشيبي** (...-١٢٦١هـ)؛ تولى المشيخة ومفتاح الكعبة بعد أخيه عبد القادر سنة ١٢٦٠هـ، ولم يمكث فيها سوى سنة واحدة وتولى بعده أخوه جعفر بن محمد.

* **جعفر بن محمد زين العابدين الشيبي** (...-١٢٦٢هـ). تولى سدنة الكعبة بعد موت أخيه سليمان سنة ١٢٦١هـ ولم يمكث فيها سوى سنة واحدة، وتولى بعده أخوه أحمد بن محمد سنة ١٢٦٢هـ.

* **أحمد بن محمد زين العابدين الشيبي** (...-١٢٧٤هـ)؛ تولى سدانة الكعبة عام ١٢٦٢ هجرية حتى عام ١٢٧٤هـ، وكانت مدة رئاسته في عهد إمارة الشريف محمد بن عون إثنتي عشرة سنة. وفي عهده بنيت (دار المفتاح) بالصفا، وكانت خاصة بسكنى (رئيس السدنة) وقد غسل فيها بعد وفاته رحمه الله.

* **عبد الله بن محمد زين العابدين الشيبي** (...-١٢٩٦هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وأخذ العلم عن علماء المسجد الحرام. تولى سدنة الكعبة المعظمة سنة ١٢٧٤هـ. كان رحمه الله يحب العلماء والفقهاء وأهل الورع والصلاح ويتقرب إليهم. وكان كثير التلاوة والذكر والمحافظة على الصلوات الخمس جماعة في المسجد الحرام، وكان ملجأ الضعيف ونصير المظلوم.

* **عمر بن جعفر بن محمد زين العابدين الشيبي** (...-١٣٠٤هـ). كان أكبر الشيبي سناً في عصره. ولي منصب السدانة بحكم الأكبرية، وكان غائباً في جاوا عند وفاة سلفه الشيخ عبد الله، فأرسل إليه ابن عمه الشيخ عبد القادر بن علي الشبيب يخبره الخبر فحضر وتولى السدانة سنة ١٢٩٦ هـ وبقي فيها ثمان سنوات الى أن توفي رحمه الله.

* **عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن زين العابدين الشيبي** (...-١٣٢٠هـ). تولى رئاسة السدنة سنة ١٣٠٤هـ، ومكث فيها الى عام ١٣١١هـ فأخذ منه المفتاح وعزل من رئاسة السدنة لقصة ذكرها باسلامة في تاريخ الكعبة العظيمة. توفي بالهدا ودفن هناك رحمه الله.

* **محمد بن صالح بن أحمد بن محمد الشيبي** (١٢٧١-١٣٣٥هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وأخذ عن علماء المسجد الحرام وأجازوه في علوم القرآن واللغة العربية. تولى منصب رئاسة سدنة الكعبة المعظمة سنة ١٣١١هـ بعد عزل ابن عمه عبد الرحمن الشيبي، ومكث فيها ٢٤ سنة الى أن توفي رحمه الله. كان ذا رأي ثاقب وفكر سديد. تولى رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الشريف حسين بن علي سنة ١٣٣٥هـ، وتوفي بمكة المكرمة.

* **عبد القادر بن علي بن محمد الشيبي** (١٢٧١-١٣٥١هـ). تولى رئاسة السدنة سنة ١٣٣٥هـ ومكث فيها ستة عشر عاماً. كان شهماً هماماً سموحاً له إقبال على الناس محباً للخيرات. باشر عدة وظائف منها رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الشريف حسين، وترأس عدة مجالس في حكومة الملك عبد العزيز، وكانت له عنده منزلة عالية. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

* **محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين الشيبي** (١٢٩٣-١٣٨٤هـ). تولى رئاسة السدنة سنة ١٣٥١هـ بعد وفاة عبد القادر الشيبي، واستمرّ فيها الى عام ١٣٨٢هـ، ومدته فيها ٣١ سنة. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

* **عبد الله بن عبد القادر بن محمد بن زين العابدين الشيبي** (١٢٩٧-١٣٧١هـ). ولد بمكة ونشأ بها، وتولى سدنة الكعبة بعد وفاة الشيخ محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين واستمر بها الى أن توفي رحمه الله سنة ١٣٧١هـ. كان صاحب جاه وإقبال ومكارم أخلاق، تقلد عدة مناصب حكومية في عهد الملك عبد العزيز، ومنها نائب رئيس مجلس الشورى الثاني، وكان رئيساً لهيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين، ورئيس هيئة الإسعاف الوطني، وقد منحه الملك عبد العزيز مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى. توفي رحمه الله بالطائف.

* **أمين عبد الله بن عبد القادر بن علي بن محمد زين العابدين الشيبي** (١٣٢٥-١٣٩٩هـ). كان طالب علم، واسع الإطلاع، رئيس السدنة في ١٣٨٨هـ. عين عضواً في مجلس الشورى بعد وفاة والده سنة ١٣٧١هـ.

* **عبد القادر بن محمد صالح محمد الشيبي المكي** (١٢٤٧-١٣٥١هـ). ولد بمكة ونشأ بها فاشتغل بطلب العلم من صغره وقرأ على والده وأخذ عن الشيخ عبد الحميد الرواني والشيخ عثمان بن حسن الدمياطي وأجازاه؛ وأخذ عن السيد أحمد بن زيني دحلان والشيخ محمد بن صالح بن فيض الله، والشيخ أحمد أبي الخير مرداد الحنفي وغيرهم. روى عن جماعة من أهل المدينة المنورة منهم الشيخ فالح بن محمد الظاهري والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجددي والسيد أحمد البرزنجي وروى عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الحفيد حينما قدم للحج سنة ١٢٦٢هـ وأجازه ضمن بعض الطلبة بعناية مشايخه. لم يشتغل بالتدريس كثيراً، وكان ذا دراية بالفقه الشافعي، ومشاركة في العلوم العربية. وكان ذا صلاح وصاحب نفوذ يحضر مجالسة أهل العلم وكبار الحجاج، وروى عنه جمع من الأفاضل، منهم السيد سالم آل جندان باعلوي، والسيد محسن بن المساوي والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ خالد بن عثمان المخلافي الزبيدي وغيرهم.

المملكة ومواجهة مستنقع المشاكل

فشل الخطاب السلفي

لم يستطع التيار الديني صناعة خطاب وتنظير يؤسس للاعتدال إزاء القضايا الشائكة والمعلقة. إن آلية التعامل التي نجدها هنا اتخذت إما طريقة الصمت وتجنب الحديث العلني عن هذه الموضوعات تجنبا للفتنة، وهي سمة يضعها البعض لمن اتصف بالاعتدال، وهي ثقافة لا تكتسب إلا من خلال دائرة ضيقة لمن يحتك مباشرة بنوعية خاصة من العلماء وطلبة العلم، وهي لن تتاح للجميع مع توسع الخطاب الإسلامي وكثرة المتحدثين باسمه، أما من يتخذ طريق المواجهة والصدام بناء على هذه الموضوعات ويقدم حججه العلمية ليحرج أقرانه من العلماء فيوضع عادة في سياق التطرف. لماذا يحدث مثل هذا وتنعدم سيطرة المعتدلين من أهل العلم والتدين على إقناع مخالفيهم الذين يرون شرعية المواجهة والصدام وإنكار ما يرونه منكرا علانية وعدم السكوت وإثارة المجتمع من أجل ذلك.

الثقافة الإسلامية عموما لم تتعود التنظير إلا داخل ما تراه صوابا (مباحا) أما التنظير داخل الخطأ (المحرم) فتمتنع عنه خوفا من إعطائه مشروعية مع أن التفكير داخل هذا النطاق له مبرر شرعي لتقليل حجم المفاسد، ولهذا يفتقد العقل الإسلامي مهارات هامة توسع من أفقه لأنه تورع عن التفكير داخل منطقة الخطأ الذي يراه لأنه يظن أن كلمة حرام تعفيه عن المسؤولية الدينية والتاريخية.

عبد العزيز الخضر
الوطن، ٢٠٠٣/٩/٢٤

* * *

بكالوريوس عاطل يا وزارة التخطيط

كيف تزعم الوزارة أن لها خطة محكمة كل خمس سنوات، ونحن كل خمس سنوات تتفاقم مشكلاتنا، وتزيد أعباء الدولة ؟ وكثير من المشروعات التي تقيمها القطاعات الحكومية – يغلب عليها – الفعل ورد الفعل؟ مرت سنوات وسنوات ونحن نتابع في وسائل الإعلام تصريحات الوزارة عن خططها في تجسير التناسب ما بين مخرجات التعليم العالي وسوق العمل الخاص، ولم نر ثمة تناسب ولا يحزنون! ظلت الجامعات السعودية تقبل الطلاب بعشرات الآلاف في التخصصات النظرية والتربوية، وتخرجّهم كل سنة، كيما يحظوا بلقب (بكالوريوس عاطل)، إذا ما أضفنا إلى ذلك، أن الأقسام النظرية في الجامعات السعودية – والتي تخرّج عاطلين عن العمل سنويا بامتياز، مازالت باقية على حالها منذ عقود، ولم نر خطط الوزارة في التناسب المزعوم؟ أليس غريبا يا وزارة التخطيط والاقتصاد – لا توجد عندنا منطقة تجارة حرة، ولا منطقة للإنترنت والتكنولوجيا، ولا منطقة متخصصة للصناعات المعاصرة، ولا مناطق جذب استثمار خارجي ولا ... ولا ... على كل المساحة الشاسعة في هذه البلاد القارة؟ لم نجد على أرض الواقع أية خطط للوزارة للحد من ظاهرة البطالة والعطالة في السعودية، ولا خطط لتوفير فرص عمل للمرأة، ولا خطط للحد من استقدام الأجانب للعمل في القطاع الخاص، ولا خطط للتعليم ليتحول إلى صناعي أو تقاني، ولا خطط لتوطين رأس المال الأجنبي في بلادنا؟ أليس من المفارقة أننا البلد الوحيد في العالم الذي يصّدر رؤوس المال إلى الخارج ولا يستوردها، أو حتى التخطيط لاستيرادها؟

غازي المغلوث
الوطن ٢٠٠٣/٩/٢٢

* * *

الرقم يا معالي الوزير ليس صحيحاً

كليات البنات قبلت معدلات ٨٤٪ علمي بنظام الانتساب وفي كليات أدبية. والجامعات قبلت طلاباً وطالبات بمعدلات ٩٢٪ علمي (طبيعي) بكليات أدبية وبتخصصات غير مرغوبة من سوق العمل، فهل هذا الذي قلت عنه يا معالي الوزير وقالت عنه التوجيهات السامية وتشكلت بموجبه لجنة عليا والتي انبثق عنها لجان فرعية وقدمت دراسات وخرجت بتوصية: التحسين النوعي في برامج التعليم العالي. هل انتهت التوصيات الى الحديث عن الاستيعاب فقط عبر تحويل الطالبات الى نظام الانتساب بكليات البنات وتحويل الطلاب أصحاب التخصصات العلمية ومعدلات تجاوزت ٩٢٪ الى كليات أدبية وتخصصات لا تتوافق وسوق العمل وحاجة المجتمع؟

عبد العزيز الجارالله
الرياض ٢٠٠٣/٨/٣٠

* * *

من غرائب التعليم

اتضح بشبه إجماع أن البيئة المدرسية لا توفر أبسط مقومات السلامة أو الوقاية ناهيك عن الجو المناسب لاستيعاب الدرس. لم يدر بخلدي قط أن بناتنا أثناء فترة الاختبارات يتم إخراجهن من الفصول وإنزالهن للساحة ويتركن في الشمس حتى لا يكتبن على الطاولات! هل يعلم الوزير أن ٩٠٪ من الطالبات في المدرسة الحكومية لا يستخدمن دورة المياه في المدرسة مهما كان السبب لأنها غير مناسبة لدخول البشر ولا تحقق أبسط احتياجات الطهارة ناهيك عن النظافة والصحة، ولأنها أيضاً لا تحقق الستر ولا الخصوصية بسبب عدم إمكانية غلق الباب أو حتى سده! يقول العديد منهن أنها تفضل التحجج بأية حجة للغياب أو التمارض للخروج من المدرسة إذا علمت أنها ستحتاج إلى دورة المياه!

محمد الأحيدب
الرياض، ٢٠٠٣/٩/١٥

* * *

تداعيات أحداث ١١ سبتمبر على المجتمع السعودي

أحدثت أحداث ١١ سبتمبر تداعيات سلبية كثيرة على المجتمع السعودي أهمها اتهامه بالإرهاب ومساندة الإرهابيين، والحد من إسهاماته الخيرة في الدعوة إلى الله، بالإضافة إلى حرمان السعوديين المضطرين للعلاج والدراسة. لقد ساهمت أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها من أحداث في مدينة الرياض إلى بث الرعب والخوف في نفوس الأطفال والكبار والرجال والنساء هنا والذين لم يعتادوا على مثل هذه الجرائم الشنيعة. كذلك لا ننسى ما تسببت به هذه الأحداث من عزوف الاستثمارات الأجنبية بالمملكة وهروب بعض الاستثمارات القائمة، ناهيكم عن الآثار النفسية كالخوف والقلق والاكتئاب الذي أصاب بعض المواطنين والمقيمين من جراء تلك الأحداث.

عبدالله الفوزان
عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٠

* * *

آلية بنك التنمية العقاري

(بنك التنمية العقاري) لم يعد يحمل مفهوم المفردة الحضارية التي وضع من أجلها، وهذا كغيره من منشآت متعددة، مرجعيته هي عدم التواكب مع المتغيرات التي طرأت على المجتمع خلال عقود من الزمان. المطلوب هو أن يتولى البنك نفسه مسؤولية استقطاع أراض ومساحات

من المدن ليقيم عليها مباني حسب نماذج متعددة تتلاءم مع طبيعة المجتمع، أشبه بالمجمعات السكنية، ويتم تسليمها للمواطن حسب رغبته وحاجته ويستقطع القسط الشهري من راتبه مباشرة.

أنمار مطاوع
عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٢

* * *

وضوح تام!

ارتفع عدد قضايا المخدرات التي تم ضبطها في السعودية خلال العام الماضي إلى ١٦.٣ ألف قضية! أي بنسبة ارتفاع ٣٣.٧٪. معلومة ثانية تقول: بلغ عدد مرضى الإيدز المسجلين في المملكة حاليا ٨٠٠ مريض، بينهم ١٦٠مواطنة مصابة بمرض الإيدز! المعلومة الثالثة تقول: إن عدد الحالات السرطانية المكتشفة داخل السعودية ما بين عام ١٩٩٩ و٢٠٠٠ بلغ ١٤٥٥٧ حالة، وإن أكثر الأنواع انتشارا بين الإناث هو سرطان الثدي بنسبة ٩.٤٩٪ وبين الذكور هو سرطان الكبد بنسبة ٦.٩٪!

صالح الشيحي
الوطن ٢٠٠٣/٩/٢٢

* * *

أهمية الانفتاح الفكري للخروج من مأزق الصحافة المقننة

أحياناً يتم التعبير عن الخلاف الفكري، والرأي المضاد، في الصحافة المقننة، بنوع من الحياء، فيتجه الناس نحو ساحات الحوار على الإنترنت، وفي بعض الدول الخارجية، يتجه الناس للمسيرات الشعبية، المفتوحة أو المنضبطة، حسبما تسمح به القوانين الداخلية للدولة. لكن للأسف قد ينحرف هذا التيار المعارض ليصبح مادياً، أو هادماً عندما نبالغ في ممارسة طقوس الصحافة المقننة. علينا اليوم إعطاء المزيد من الضمانات على حرية الكلمة، ومزيد من قنوات التعبير عن الرأي الآخر، أو حتى عن آرائنا الشخصية التي قد نتفق أو نختلف عليها، نحن بحاجة لتقليل دور وأهمية الصحافة المقننة، هناك كثير من الأخطاء لا يمكن أن تكتشف دون الرأي الآخر، وهناك أخطاء سنعاني منها جميعاً إذا لم نستمع لرأي مخلص معارض، بشرط أن يكون النقد بناءً، وموضوعياً، وعندما يكون الحوار كلمة بكلمة، وحجة بحجة، فنحن في أمان، واستقرار اجتماعي يلغي الحاجة لاستخدام العنف، أو الشتم، أو حتى الاعتداء الشخصي.

مازن عبدالرزاق بليلة
الوطن، ٢٠٠٣/٩/٢٠

* * *

لنثبت عدم تمييزنا ضد المرأة

إذا ما أردت التعرف إلى مأزق وضعية المرأة السعودية، فما عليك إلا أن تعلم بأن مؤسسة تعليم البنات، هي وحدها التي تقوم بتعليم المرأة وتوظفها.. وتشرف على قضاياها الاجتماعية!.. في حين ينبغي أن تتحول المهمات المتفرعة عن تعليم البنات، إلى مؤسسة أخرى تناط بها شؤون المرأة.. هذا ما دعوت إليه قبل سنوات باقتراح وزارة لشؤون المرأة، تتحقق من خلالها الإدارة المباشرة، بطواقم متميزة من الأكاديميات والإداريات. ولعلي هنا أذكر الصديق الدكتور محمد الأحمد الرشيد وزير التربية والتعليم، عن عهد قطعه على نفسه! بعد التجديد الثاني له، بأنه سيسعى إلى تعيين نائبة له، تشرف على قطاع تعليم البنات بالمرتبة الممتازة. إن ذلك لو تم، لعمل على مسح صورتنا النمطية، المثبتة في الدوائر السياسية والإعلامية العالمية، بأن المملكة تمارس تمييزاً ضد المرأة.. في حين أن المملكة قد وقعت على وثيقة في الأمم المتحدة على عدم تمييزها!

محمد رضا نصر الله
الرياض، ٢٠٠٣/٩/٢١

* * *

افتتاح جامعة في اليوم الوطني

أن يتحول اليوم الوطني إلى برامج إعلامية وتذكير بالمشاريع السابقة والحديث عن مشروعات استنفدت غايتها وأصبحت جزءاً من الماضي لا امتداد لها فهذا لن يضيف أي رصيد لليوم الوطني ولا يعزز المواطنة لدى الأفراد بالصورة التي يأملها المخططون للإعلام. هذا الجيل يحتاج إلى جرعة وطنية لأنه يأتي بعد جيل التأسيس وبالتالي يحتاج إلى ضخ كمية مكثفة من جرعات حب الوطن لذا لابد أن نلامسهم بمشروعات تفتح لهم آفاقاً جديدة وتكرس الجانب الوطني وتعمّقه لديهم، وبالتالي ربط بعض المشروعات القومية والوطنية باليوم الوطني ليكونوا أكثر اقتراباً بدلاً من أن تمر هذه المناسبة بلا أي وعد أو أمل أو أي هدية.

عبد العزيز الجار الله
الرياض، ٢٠٠٣/٩/٢٢

* * *

في طابور الانتظار

وقفت طويلاً في طابور الانتظار بمطار الملك عبد العزيز بجدة كي أسجل اسمي ضمن قائمة الغلابة الباحثين عن مقعد سفر إلى الرياض. اكتشفت بعد ساعة كئيبة من انتظاري أننا في المملكة نتميز بميزة (خاصة) يمكن أن تدعم موقف دعاة (الخصوصية) السعودية من جهابذة الخطاب البليد في صحافتنا الموقرة وهي أن طوابير الانتظار عندنا تدفعك للوراء بدلاً من أن تأخذك إلى الأمام. كانت جموع المنتظرين في المطار تتدفق نحو الموظف الوحيد القابع خلف زجاج سميك لا يأبه بأحد. أنتظر أن أتقدم إلى الأمام، نحو الزجاج السميك، فأجدني أتراجع كل دقيقة خطوتين للوراء حتى اصطدام ظهري بالجدار الخلفي ولم ينفع صياحي: يا هوووه.... يا عالم.... يا ناس! مخطئون نحن الذين نتسرع في شجب ردود أفعال الناس دون أن نحاول قراءة أسباب غضب الناس وما يقف خلف أفعالها. سمعت شابا غاضباً لم يخش أن يعبر عن غضبه علناً وهو يصرخ "يجيلكم يوم يا ...!" وآخر يشتم الخطوط السعودية وكل من ينتمي لها. وثالث، على هاتفه الجوال، يقسم أن له يومين في المطار.

سليمان الهتلان
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٨

* * *

التوالد الأرنبي.. والعتب على الحبة الزرقاء!

إذا صح أن نسبة زيادة المواليد بالمملكة تُعدُّ أعلى النسب ارتفاعاً في العالم من واقع الإحصائيات الدقيقة والتي تقول إن نسبة التوالد في مدينة الرياض وحدها وصلت إلى حوالى ٩٪، وهي نسبة خطيرة بكل المقاييس- فإن ذلك ينبغي ألا يقابل بالصمت، خاصة إذا علمنا أن نسبة من هم أقل من (١٥) سنة تعادل نصف سكان البلاد. لماذا لا ننبه الناس إلى أن زيادة النسل تعني نشوء طبقة الفقراء والمعدمين ونشوء التمايز الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى نظرات الحقد والغبن والانحلال حتى! لم يعد يؤرقنا غير أن نتباهى بفحولتنا التي تزف لبلادنا مع كل صباح طازج (١٧٢٠) فماً حتى ولو كانت تلك الفحولة من صنع الحبة الزرقاء (اللعينة)!

تركي العسيري
عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٦

* * *

الأمن الإنساني

تحقيق الأمن الإنساني بكل أبعاده وصوره يعد الدعامة الأولى (للأمن العام) بمفهومه التقليدي إن لم يكن شرطاً له.. فصيانة الحريات العامة واحترام الإنسان والدفاع عن حقوقه هي خط الدفاع الأول أمام الأمن الوطني.. وتبقى الحقوق.. هي حجر الزاوية للأمن الإنساني لما تنطوي عليه من قيمة إنسانية رفيعة ولما تحققه من عدالة اجتماعية مبتغاة.

عيسى الحليان
عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٨

* * *

مسكينة أنت أيتها المناهج

المبدأ المنصف الذي ينطلق منه دعاة تطوير المناهج يكمن في الرغبة في أن تساير هذه الكتب استحداثات العصر مع الاحتفاظ بكل ثابت مقدس لا يمكن المساس به. غير أن الثابت في نواميسنا الاجتماعية والثقافية كلمة مطاطية لا تعرف حدوداً حتى صارت كالمظلة التي يسحبها من شاء إلى دائرته حتى توسع "المقدس" بشكل أفقده اللب والجوهر. صار فينا من يعتبر أدب الصعاليك وسيرة "المرقشين" و"النابغتين" شيئاً من جلال اللغة وخلودها وصارت معرفة حدود دول مثل مالي وجيبوتي مطلباً على تلاميذنا من باب أخوّة الدم والعقيدة. ٨٧٪ من طلابنا في الثانوية العامة

لا يعرفون حدود بلدهم لأننا بالغنا على سبيل المثال في سرد البلدان، وسوادهم الأعظم ينتهي من المرحلة الثانوية وهو عاجز عن كتابة مقال وصفي بسيط، فأين ذهبت كل هذه الكتب والحصص؟ حشف وسوء كيل.

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٧

* * *

الأعلى عالمياً: مبروك عليكم!

المسكن السعودي هو الأعلى تكلفة في العالم، لا تفرح يا صديقي!، فهو أيضا الأقل عمراً افتراضياً. أقول لا تفرح لأنه قبل سنوات كانت صفة الأعلى والأكثر تكلفة والعالمية تجعل إعلامنا وكثيراً منا يرقصون طربا وبلغة السامري كانوا "يستنزلون"! في نشوة عارمة، أتذكرهم وكأنهم أمامي، الآن اختلف الحال فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. ملتقى المسكن الاقتصادي المنعقد في الرياض، توصل إلى نتيجة الأعلى تكلفة والأقصر عمراً، لنقل إنه أعلن رسميا ماكان يعرفه المواطن ويشتكي منه منذ بدأ الصندوق العقاري أعماله، احتجنا لكل هذا الوقت الطويل للاعتراف الرسمي، فهل سنحتاج إلى مثله للعمل على إصلاحه؟!

عبد العزيز السويد
الرياض، ٢٠٠٣/٩/٢٧

* * *

تبادل الأدوار والحلول لمشكلات المرور

تعتبر السعودية حالياً في مقدمة دول العالم من حيث الاستنزاف البشري والمادي نتيجة لحوادث السيارات. المملكة تنفق متوسط ما مقداره سنويا (١٣) مليار ريال سعودي على استيراد مختلف الأنواع من السيارات وقطع غيارها. إضافة إلى ذلك قرابة ضعف هذا الرقم ينفق سنوياً نتيجة لما يقع من حوادث السيارات، وتلك المبالغ مجتمعة تعادل ما ينفق على الميزانية السنوية المخصصة للقطاعات الصحية والتنمية الاجتماعية. أما الجانب الإنساني فالخسارة أكثر وأعظم حيث تستهدف تلك الحوادث الإنسان، حيث أشار التقرير الإحصائي للإدارة العامة للمرور لعام ١٤٢٣هـ أن مجموع الحوادث المرورية بلغ ٨١٦،٢٢٣ حادثاً، وأن من بين المصابين في تلك الحوادث نسبة ١١٪ تقل أعمارهم عن ١٨ عاماً وأن نتائج هذه الحوادث وما ينتج عنها من إصابات سنوياً تتسبب فيما يقارب ٢٠٠٠ مصاب ينتهون بإعاقات دائمة وملازمة لهم مدى الحياة.

عبد الجليل السيف
عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٠

* * *

كارثة الحاير: مدائح للفاشلين، ومذمة للضحايا

قال مدير عام السجون بالمملكة: "لقد تم التعرف على جميع المتوفين (...) وهناك معلومات مفصلة لدى العاملين في الإصلاحية يتم بموجبها إبلاغ أسرهم". كنت أتمنى ألا يشيد اللواء بجهود رجال إصلاحية الحائر ولا غيرهم في الإنقاذ والإسعاف، فمثل هذه الكارثة المروعة لا تحتمل مثل هذه المدائح، فهي فيما يبدو تنطوي على إهمال وتقصير واضحين سواء كانت بفعل فاعل، أو بماس كهربائي، أو من جراء عقب سيجارة سجين!، فالحريق أفضى إلى الفتك بسبعة وستين إنسانا!

قينان الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٧

* * *

رسالة المنبر

لعل المتغيرات الراهنة في شتى أنحاء العالم تلقي بظلالها علينا سلبا كان ذلك سلباً أم إيجابا وتدفعنا بقوة الإرادة إلى مراجعة أنفسنا والوقوف على أخطائنا والاعتراف بها ومن ثم معالجتها بطريقة جريئة ذلك أن الأخطاء إذا تراكمت وسكت عنها أصحاب الشأن صارت أعباء تصعب إزالتها. قرار وزير الشؤون الإسلامية بمحاسبة التجاوزات المنبرية قرار شجاع وقوي. إن كثيرا من خطبائنا اختزلوا الإسلام في (السياسة والعبادة) ونسوا مساحة واسعة من هذا الدين! قبل عدة سنوات كنا نعاني من اقتصار المنبر على أمور العبادات دون التطرق للمعاملات أو السلوك والروحانيات ثم عادت المشكلة بثوب آخر. صرنا نطالب بالتوازن في موضوعات المنبر لأننا أصبحنا سياسيين أكثر من الساسة أنفسهم.

خالد عبد الله المشوح
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٥

* * *

صورتنا من الداخل .. عناوين صاخبة!!

الجميع الآن يدرك صورتنا من الداخل، مشكلتنا لم تعد في القدرة على التحليل أو التشريح أو صوت النقد. لا بد وأن نكون تجاوزنا هذه المرحلة. أو لا بد وأن نفعل.. مشكلتنا مع القادم كيف يكون متى وأين وكيف نتصارح على البداية. على سلم الأولويات وترك استراتيجية المراهنة على الوقت.. أو على بعض الوقت؟!

ناصر الصرامي
الرياض، ٢٠٠٣/٩/٢٧

* * *

حتى لا يصبح الحوار خواراً!

كيف يُرجى أن تنجح الدعوة للحوار وأن تكون لدينا حياة فكرية حافلة بالآراء المتعددة ونحن ما زلنا على ما نحن عليه في النمط الذي نتبعه في أسلوبنا الخطابي أثناء الحوار؟ ما نتبعه من أسلوب في التحاور يتسم غالباً بشيء من غلظة تجرح مشاعر الآخر، فليس نادراً أن نصف في خطابنا الرأي الذي لا نوافق عليه بالسذاجة أو قصر النظر أو الخلو من الصواب، وهي صفات تقلل من قيمة صاحب الرأي فيُستثار، وما لم يكن قوي الأعصاب شديد الرزانة قادراً على التحكم في انفعالاته فإنه قد ينجرف إلى الدخول في مهاترات بدلاً من محاورات لينقلب الحوار إلى (خوار).

عزيزة المانع
عكاظ، ٢٠٠٣/٩/٦

* * *

القبلية لا تنتهي بحذف الإسم

لابد لنا من مضاعفة الجهد لترسيخ اللحمة وتوثيق الالتحام ومحاربة كل سبب يؤدي إلى خلخلة الترابط المتين. ومن أهم الأسباب نبذ العنصرية والإقليمية والأنانية بكل الأشكال والألوان.. وفي هذا الإطار دعوت مع المخلصين الغيارى ولا أزال إلى إسكات الأصوات الناشزة التي تحاول النيل من هذه الوحدة وتطهير الأجواء من جراثيم الفتنة والبلبلة. وأتطرق إلى ظاهرة متوارثة من الانتماء للعشيرة أو القبيلة والحنين إلى التراث... حينما يصر المواطن على الانتساب في آخر اسمه لقبيلة ما ويكون ذلك سبباً في التكرار والازدواجية. ناديت في مرحلة استبدال دفاتر حفائظ النفوس القديمة بالبطاقات الحديثة (الممغنطة) باستبعاد القبيلة من الأسماء والاكتفاء بالاسم الرباعي ولقب العائلة أو الأسرة فقط. عندها نقرأ أسماء أبناء الوطن الواحد متجردة من العصبيات والعنعنات والعنتريات والقبليات التي عفا عليها الزمن... ولا تثير إلا الإحن والشجن.

محمد الحميد
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٤

* * *

٩/١١ يوم هزّ السعودية

بفضل اجتهادات الحادي عشر من سبتمبر دخلت مؤسساتنا الخيرية ورجالها تحت طائل الشبهة. لا في الغرب فحسب، بل حتى بيننا. صار بيننا للأسف الشديد اليوم من رجال الأعمال من يضرب ألف حساب قبل الدفع بريال واحد في عمل خيري وصار بيننا منهم أيضاً من يشكك في أهلية بعضنا حتى لتوزيع زكاته من أولئك الذين اعتمد عليهم في فترة سابقة. فقدنا الأمان في كل شيء وأصبحت صورة المستقبل قاتمة. صارت همومنا تتمحور حول أمان العائلة. ننظر لعيون أطفالنا في أسى ثم نطرح السؤال: كيف سيكون مستقبل هؤلاء؟ جسّد فينا ذلك اليوم روح الرفض وأذكى فينا نظرية المؤامرة. رفضنا في الأساس أن يكون بيننا من يستطيع حبكة هذه القصة. صار فينا من ينفي وجود التسعة عشر وصار فينا من يشكك في الطائرتين في الأصل، بل كان بيننا من يؤكد أن البرجين الشهيرين لا وجود لهما في الأصل.

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٤

* * *

وزارة اللجان

لابد أن نعترف أن العمل الإداري في

القطاعات الحكومية يعيش تقليعة (اللجان).. أصبحت اللجان هي الفلسفة الإدارية وهي المؤشر لنجاح المسؤول، وبقدر ما يشكل من لجان يكون النجاح.. وهناك وزراء ووكلاء وزراء بنوا استراتيجيتهم على شبكة من اللجان.. المنحنى الخطير الذي يهدد العمل الإداري الحكومي هو تعطيل كثير من الإدارات والمسؤولين عبر ربط أعمالهم بعمل اللجان لتتحول الإدارات إلى سلة لجمع المعاملات ويتحول المسؤول إلى سكرتير للجان ويتعطل العمل الإداري ويربط ببيروقراطية عقيمة وغير منتجة. بعض المسؤولين يعتقد أنه يحمي نفسه إذا أحيط بكوكبة من (اللجانيين) وهؤلاء اللجانيون هم أعضاء أو جوقة في فريق العمل تجدهم في كل لجنة يتبادلون المسميات فيما بينهم، مرة يكون أحدهم رئيس اللجنة ومرة ثانية عضواً في اللجنة وثالثة سكرتيراً ورابعة مقرراً وخامسة نائب رئيس اللجنة و..و.. تبادل بالمراكز والقيادات وتبادل بالغترة والطاقية بين الأعضاء لكن لا تغيير ولا تبديل فهذا المسؤول وهذه شلته.

عبدالعزيز الجار الله
الرياض ٢٠٠٣/٩/٦

* * *

عدالة سعودية!

ذهلت أمام قصة (المواطن)– موظف الضمان الاجتماعي– الذي برّأه ديوان المظالم من تهمة التزوير في أوراق رسمية بعد مرور أكثر من (١٨) عاماً على كفّ يده عن العمل بسبب التهم التي وجهها إليه فرع هيئة الرقابة والتحقيق بحائل، وبعد مرور كل هذه السنين وإحالة الموظف إلى التقاعد، فإن (وزارة الخدمة المدنية): حائرة تدرس إذا كان هذا الموظف تحقّ له الترقيات – نظاماً– التي كان سيحصل عليها خلال فترة كفّ يده بعد ثبوت براءته؟! ألا يحق لهذا الموظف أن يرفع دعوى (تعويض سمعة، وإهدار عُمْر وترقيات) على الجهة التي اتهمته والتي أدانته.. وهل الدعوى سيتم البتّ فيها عاجلاً أم سينتظر (١٨) عاماً أخرى ليحصل على التعويض، وهو ميت؟!

عبدالله الجفري
عكاظ ٢٠٠٣/٩/٥

* * *

مشكلتنا مع الإرهاب فكرية

التنظيم الإرهابي اليوم، ليس عنفاً جسديا فقط، بل هو فكر، وأساسه هو الفكر، الفكر الذي يحول الإنسان من شخص لآخر. الإرهاب الحديث يستخدم أولاً الغسيل الفكري، الذي يهيئ الشاب ليقتل نفسه، في سبيل الغاية التي أشبع بها حتى النخاع، لذلك فالموت الفعلي، بعد التحول الفكري، أصبح أبسط عمل يقوم به الإرهابي. لذلك فالتعامل الفظ، أو السطحي، أو المغلف، أو العنيف مع هذا التيار، سيكون هو الزاد الحقيقي الذي يستخدمه أساتذة هذا الفن، للتأثير في نفسيات وعقليات الشباب المغرر بهم. لمكافحة الإرهاب علينا أن نعالج أنفسنا فكرياً ومعلوماتياً، لنطرح الحقائق على بساط البحث والتنقيب، لنقل للناس واقعنا وحقيقة أمرنا: نحن لدينا فقر، ويحتاج إلى عشرات السنين لإصلاحه، ونحن لدينا أنفس ضعيفة، أدت إلى تخلف اقتصادي، ونحتاج إلى إصلاح.

مازن بليلة
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٣

* * *

التوظيف عند الناس أهم من التعليم

الفكرة السائدة عند الناس عن التعليم أنه جسر، وجواز مرور للرسو عند شاطئ الوظيفة، فالعلم والتعليم ليسا قيمة عليا عند الطلاب وأهاليهم بقدر ما هما وسيلة لشيء آخر مختلف تماما. ولسنا نغالي إذا ما قلنا إن كثيرا من الطلاب وأولياء الأمور يعضّون أصابع الندم على سنوات الدراسة والتعليم التي أضاعوا فيها العمر – إذا – ما أخفقوا في الحصول على مقعد دراسي في الجامعة، أو الحصول على وظيفة. معظم تصريحات الطلاب المتفوقين وأولياء أمورهم للصحف المحلية، نتيجة اختبارات قياس القدرات، والذين لم يحالفهم الحظ في دخول الجامعات، تقول حقيقة واحدة، إنهم يتمنون لو عاد بهم الزمن ليختاروا طريقا آخر. لأن التعليم (ما يوكل عيش).

غازي المغلوث
الوطن ٢٠٠٣/٩/١٣

* * *

عشائرية المناصب

الشك في المواطنة اتهام خطير فالمسؤول يسند المناصب لأبناء عشيرته وقريته وأبناء عمومته لأنه يشعر تجاه الآخرين بحالة شك من مواطنتهم أو أنهم منقوصو المواطنة. لا أحد منا يرضى ان تتحول المناصب إلى مناصب عشائر ووظائف محسوبيات. وتقسم الوظائف والمناصب على العشائر والجماعة والشلة وأبناء القرية.. وكل من يتقلد منصباً إدارياً يبادر في جمع وتعيين ابناء العمومة والخؤولة والأقارب والأنساب والأرحام، وكأن هذا المسؤول في مزرعته الخاصة أو في منزله الشخصي يستضيف من يرغب، ويبعد من لا يحب.

عبدالعزيز الجار الله
الرياض، ٢٠٠٣/٩/٢٩

* * *

تصريح غير مسؤول عن الأيدز!

مصدر مسؤول في وزارة الصحة تحدث عن اكتشاف ألفين وثلاثمائة حالة إيدز داخل المملكة حيث لم يوضح المصدر نسبة المصابين من السعوديين أو نسبتهم من المقيمين كعادتنا الأصيلة في (الغمغمة)! وقد لفت نظري فيما نسب إلى المصدر الصحي المسؤول قوله عن مصابي الإيدز: (أنه لا خطر من وجودهم)! من واجب أي مجتمع أن يضطرب في حالة اكتشاف حالة إيدز واحدة لإحساسه بالخطر الداهم فكيف يطمئن ويصدق بعدم وجود خطر وفي قبضة السلطات الصحية وحدها ما يزيد عن ألف حالة إيدز؟

محمد أحمد الحساني
عكاظ ٢٠٠٣/٩/١١

* * *

بدل بطالة وورطة الحكومة!

تقدمت باقتراح للحكومة يوصي بعدم قطع مكافأة الجامعة عن الخريج حتى يضمن وظيفته؛ أو على الأقل يجد عملاً! وقلت بين يدي الاقتراح، إنني أدرك أن الأوضاع الاقتصادية للبلد ليست جيدة، وألمحت ـ على استحياء ـ قائلاً: (على الأقل أعطوهم مكافآت رمزية... تحت أي مُسوغ... من أي بند)! أتذكر أن العاطفة قد غلبتني حينها وتساءلت مشفقاً: ماذا ستفعل الحكومة أمام هذا المد الموسمي من خريجي وخريجات الثانوية العامة والجامعات؟! مستنداً على أنه كلما زاد عدد هؤلاء، زادت البطالة، وكلما زادت البطالة زادت ورطة الحكومة! بالمناسبة لا يخفى عليكم أنه كلما زادت ورطة الحكومة زادت اللجان!

صالح الشيحي
الوطن ٢٠٠٣/٩/١١

* * *

شبعنا من كلام الجرايد!

أين المشكلة؟ فالوزير يقول المقاعد أكثر من الخريجين، وكثير من الطلاب والطالبات لم يجدوا قبولاً فهل هناك سر يصعب كشفه للناس؟ هؤلاء – مثلاً – أربعة طلاب شرح كل واحد منهم مشكلته مع عدم القبول. الطلاب الأربعة جميعاً تخرجوا من الثانوية هذا العام بتقدير ممتاز وحصلوا على درجات متفوقة في اختبار القدرات، وفي الاختبار التحصيلي، ومع ذلك فوجئ كل منهم بعدم قبوله في الجامعة التي تقدم لها، أحدهم يقول: إنني أتعجب من وزير التعليم العالي حين يصرح بالبنط العريض ويقول: قبول جميع خريجي الثانوية هذا العام في الجامعات، فهل أنا منهم أم لا؟

قينان الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٩/٧

* * *

تجفيف المنابع لمكافحة حمى التصدع

كل المشكلات المرضية، التي تسمع لأول مرة ظهرت في جازان، حتى أصيب الناس هناك بالوسواس، وأصبح كل شيء يعبر عن أزمة مرضية جديدة تحدث لأول مرة بالمملكة، البقع السوداء، والبثور الجلدية، والدوخة، والنزيف. لقد جربوا كل أنواع المرض، التي تؤدي للموت، والتي لم توجد في أي منطقة أخرى. اليوم حدثت الفاجعة الكبيرة، لعملية إرهابية واسعة، في جازان، بحيازة أسلحة وذخيرة حية، وقتال رجال الأمن، باقتياد رهائن من المستشفى بشكل دراماتيكي،

والتترس بالنساء والأطفال، الذين يعيشون في سكن المستشفى، وهو أمر، لا يحصل إلا في الأفلام الأمريكية، وبذلك تكون جازان، كما كانت هي الأولى في الأمراض العضوية الغريبة، أصبحت هي الأولى في ظاهرة الأزمة الأمنية الجديدة.

الجديد في عملية جازان، أنه لا يوجد فئات غربية مطلوبة من الإرهابيين، لا الأمريكيون ولا البريطانيون، فهذا يعني أن الإرهاب أصبح من المواطن ضد المواطن، وأن هذا الاتجاه يمثل انحرافاً خطيراً في الفكر الإرهابي السعودي، وهذا دليل أن جهودنا الحالية لمكافحة الإرهاب غير مجدية، أولاً، وثانياً أنها تشجع الفكر الإرهابي ولا تقلصه، وثالثاً أن الحلول الجذرية لاجتثاث الإرهاب ينبغي ألا تركز على المدن الكبرى بل ينبغي أن تشمل كل مناطق المملكة.

مازن بليلة

الوطن ٢٠٠٣/٩/٢٧

* * *

المتملقون

تقول القصة الطريفة إن مواطناً بالباحة طلب الميكرفون لسؤال وزير التربية والتعليم في لقاء تربوي بالمنطقة عن الآلية التي تم بموجبها تمكين موظف بسيط كان يشغل وظيفة (سكرتير) ليكون مديراً عاماً لتعليم البنات بالمنطقة. وتقول القصة أيضاً إن مشرفاً تربوياً بتعليم الباحة أراد أن يرفع الحرج عن معالي الوزير فتبرع بمدحه وسرد مواصفه وزاد على ذلك أن طلب من معالي الوزير طرد ذلك المواطن من قاعة الاجتماع لأنه استجمع قواه وتجرأ على طرح اللغز الحرج. كان سعادة المشرف الهمام الذي طالب بطرد المواطن من القاعة وكأنه أفتى تعسفاً في موضوع عقدي وشائك فكان نفاق المشرف التربوي يجلجل في القاعة أمام الوزير والحضور ناسياً أنه هو الذي يجب أن يطرد أو يستبدل. هو أمثاله كثرة غالبة في مؤسساتنا الإدارية وهو وأمثاله أيضاً لا يمتلكون غير خطب التمجيد وطبول المديح أمام كل مسؤول في المرتبة الأعلى وهو وأمثاله كثر للأسف ولو أننا قررنا طردهم من المكاتب والقاعات لفرغنا جهازنا الحكومي وامتلأت بهم الشوارع.

علي سعد الموسى

الوطن ٢٠٠٣/٩/٢٧

* * *

رقيب يحتاج إلى رقيب!

أنظر بشيء من العجب تجاه ما تنشره الصحف من ضبط المخالفات ذات المنشأ الخارجي والداخلي.. مخالفات كثيرة وعديدة في الملابس والمأكولات والصناعات والاكسسوارات وأدوات الزينة والذهب والسيارات.. العجيب أن جزءاً من المخالفات تتعرف عليه الصحافة من خلال مراسليها فالمراسل الصحفي يقوم بدور مندوب البلدية والصحة والتجارة، إذن أين الجمارك وأين المراقبون.. ضبط المخالفات لا يتم الوصول لها الا في الأسواق وليس في المنافذ والحدود.. وفساد الأدوية يأتي من شكوى المواطن وليس من مندوب الصحة الذي يتعرف على فترة صلاحية الأدوية ومدى مناسبتها لجسم الانسان.. اللحوم الفاسدة يتم الكشف عنها في ثلاجات المدن وليس على الحدود. لا نستطيع الاستمرار في ظل هذا الوضع المنفلت. ومن الصعب أن يتحول المواطن إلى حقل تجارب وميدان للغش.

عبد العزيز الجار الله

الرياض، ٢٠٠٣/٩/١٥

* * *

بين الرياض وموسكو

التعاون بين موسكو والرياض لا يمكن اختزاله في خانة ردود الأفعال. لا مناص لدولة مثل المملكة من التعاون القوي مع هذا البلد، وبالخصوص بعد زوال الموانع الأيدلوجية. إن وضع البيض في سلة واحدة ليس مخاطرة سياسية فحسب، بل إخلال بالمصالح الاقتصادية للبلاد.

سليمان العقيلي

الوطن ٢٠٠٣/٩/٨

* * *

من أين جاءت مشكلة الإمتيازات؟

إن رواة كثيرين في هذا المجتمع من مرتادي المصالح الذاتية يقضون حياتهم تحت نظرية أن الوطنية أن تحصل على كل شيء مجانا ولذلك تنشأ فئات اجتماعية مستفيدة تناضل بكل قواها للمحافظة على امتيازاتها التي لم تكن ذات مشروعية اجتماعية في معظمها. فالمجتمع الذي غاب عن التفكير في امتيازات بعض فئاته اقتصاديا في مرحلة زمنية ذات ظروف اقتصادية خاصة يعود عبر بوابة الإصلاح الاجتماعي إلى التفكير في إيقاف أي شكل من أشكال الهدر وذلك من أجل السير تحت مظلة التطوير والإصلاح الاجتماعي بشكل يضمن تحقيق أهدافها الحقيقية.

علي الخشيبان

الوطن ٢٠٠٣/٩/٥

* * *

وطنيتنا ينقصها فيتامين

الوطنية لا تتحقق بمجرد حمل الهوية الوطنية بل انها عملية متراكمة مع الزمن تكرسها المؤسسات والنظم في وجدان الفرد وتعمقها العدالة الاجتماعية. الوطنية قيمة يعمقها إشباع المواطن لاحتياجه الفعلي وليس عبر برنامج تلفزيوني أو مقالة صحفية. إنها تمتزج مع قدرة المدرسة على التعليم الصحيح ومع قدرة المستشفى على علاج المريض وعلى قدرة الطريق على إيصالي لمنزلي بأمان، وقدرة الجامعة على إعطائي مؤهلاً يشغلني وعلى قدرة المدير على ترقيتي وفق النظام، وعلى اتساع مساحة الحوار مع وطني إنساناً ومؤسسة .. الوطنية نغم جميل إما أن نعزفه عملاً أو أن يعزفنا ألماً.

هيا المنيع

الرياض، ٢٠٠٣/٩/١

* * *

دواوين الرياض

انتشرت في الرياض فكرة الدواوين عندما أحس أهالي العاصمة بجفاف علاقاتهم الإنسانية. ومع حرارة المناخ السياسي في المنطقة وما تشهده البلاد من تطورات، تشعبت اهتمامات هذه اللقاءات من الشؤون الاجتماعية إلى التداول السياسي الوطني، وغدت تناقش قضايا البطالة والتعليم والخطاب الديني وتكافؤ الفرص في المجتمع وتتداول اقتراحات وأفكارا ما كانت لتطرح لولا الغيرة الوطنية والإحساس بالواجب الاجتماعي، والتنفيس عما يعتمل بالنفس تجاه الحاضر والمستقبل. من الطبيعي في مجتمع يتفتح لتوه على الحوار والجدل ونقد الذات أن يواجه إشكاليات في طريقة التعاطي مع نفسه، فالصمت الذي كان قد ران على المجتمع عقودا طويلة ما كان له أن يخرج صدورا منشرحة ومنبسطة للرأي الآخر.

سليمان العقيلي

الوطن ٢٠٠٣/٩/٢

* * *

هل كتب على كل وزير للصحة أن يكون ممثلا؟!

أن تكون وزيرا للصحة فذلك شأن ليس بالعسير، غير أن الأمر الجد صعب هو أن تتوافر على قدرة فائقة في التقمص/ التمثيل وتنال جراء موهبتك أدوار البطولة كلها! ليبقى أقرانك منحشرين في أدوار كومبارسية! أتمنى على معالي الوزير أن يجيب عن أسئلتي هذه:

أي جدوى يمكن أن تستثمر فيها هذه الزيارات التنكرية وهي من الغد تصبحنا في الصحف! وليس ثمة بطل سواك! ولو أنها ظلت سرية لربما تناغمت مع الأهداف التي من أجلها دشنتم هذه الزيارات؟ ولم لا ينهض بتحمل هذا العبء التمثيلي بعض منسوبي الوزارة؟ هل إنها محض شكوك في كفاءتهم في تأدية الدور التمثيلي!؟ وهل ننتظر من معاليك طريقة أخرى مثلى يمكنها أن تكشف لك عن مستور الوزارة دون أن تكلف نفسك كل هذا العناء؟ وهل لنا أن نعرف حجم ثقتك في من أوليتهم شأن إدارة مستشفياتنا وبقية المرافق الصحية الأخرى؟ ذلك أن إصرارك على ممارسة زيارتك التنكرية أوحى لنا ولو بطرف خفي بأن ليس ثمة ثقة! يمكن أن تكفيك مؤونة (جيتك) والتمثيل المتكلف والمنهك في آن؟

خالد صالح السيف

الوطن ٢٠٠٣/٩/١

* * *

رسالة للجالسين والجالسات

لكل الأخوة والأخوات الذين شاءت ظروفهم أن يجلسوا في منازلهم بسبب عدم قبولهم في الجامعة أو لعدم وجود وظائف لهم.. لهؤلاء أقول

نرجو منكم باسم الوطن وباسم اخوانكم ان لا تغضبوا علينا وان لا تتكدروا واعلمو أن مشكلة القبول في الجامعات سوف يتم حلها بمشيئة الله وفق استراتيجية تعمل عليها وزارة التعليم العالي لخمس وعشرين سنة قادمة! نطلب منكم باسم الوطنية أن لا تسهروا، أو أن تخرجوا عن المألوف، وان تنتظروا بكل أدب فرصة عمل أو تعليم تأتيكم بقرار رحمة من هنا أو هناك. ليس من حقكم أن تغضبوا علينا أو أن تنتقدوا المسؤولين لأنه ليس ذنبهم أن أمهاتكم أنجبنكم بكل هذا العدد الكبير الذي فاق كل الخطط التنموية التي يبدو أنها لم تعتمد على المعلومة الرقمية كأساس لعملها وإنما خططت بأسلوب (البركة)!

هيا المنيع

الرياض ٢٠٠٣/٩/٢٧

* * *

الانغلاق: (وأد) الإبداع!

من يتحمل التقييد. ومن يتحمل قتل الإبداع؟ في ظل أي مجتمع يغلق نفسه عن العالم. يجبر الإبداع على الاعتزال والانطواء أو الهروب في ظل غياب الحافز والإمكانية والتشجيع. بيئة تعزل الإبداع تضيق عليه وتجعله سطحياً في مساحات الشعر أو الرياضة وتحيد ما سواها. تحرف كل إمكانية للابتكار وتقديم الجديد في ظل غياب حتى أبسط حقوق الحماية أو أقل مستوى لحضانات الإبداع؟ بيئة مغلقة تمارس جريمة ضد جيل متطلع بدواعي وأسباب تتفنن في البلادة والرضوخ من يصحح أحوالها؟

ناصر الصرامي

الرياض، ٢٠٠٣/٩/٢٩

* * *

هذا هو الحل

لان التغيير كان مفاجئا، وغير متوقع، ولم تضع له أي حلول استعدادية كانت المعالجة له معالجة آنية.. مرتبكة.. ميّالة للتصالح مع المشاكل والقفز عليها. الحكومة وضعت على عاتقها وحدها مسؤولية التوظيف للمواطنين في ظل مقدرات مالية كانت متاحة ولكننا فجأة في ظل تغييرات عالمية حادة.. حدثت الازمة مما ادى الى انطلاق مصطلحات لم يخطر على بالنا يوماً استخدامها أو التلويح بها.. مثل البطالة .. والتضخم .. والسعودة وسواها.. واعتقد ان استمرار دور الدولة الراعية فترة ليست هينة أثر تماماً على كل خططنا وانماط تفكيرنا وآلية تعاملنا مع العمل والواقع.

هاشم جحدلي

عكاظ ٢٠٠٣/٩/٧

* * *

العنف سيستمر سنين طويلة

موجة العنف التي نمر بها حالياً ليست عوارض يمكن احتواؤها والقضاء عليها في فترة زمنية قصيرة. إنها ظاهرة أفرزتها عشرات السنين من تغييب التنظيم المكتبي، وارتفاع معدلات الفساد الإداري.. وهما عنصران يُشكّلان في مجملهما مفهوم (انخفاض مستوى العدالة) في المجتمع، وهذا المفهوم يؤدي –دائماً– إلى التعبير عن طريق (العنف). لذلك، فإن مكافحة هذه الظاهرة ستأخذ وقتاً طويلاً يصل أيضاً إلى سنوات عديدة. وتحتاج –بكل تأكيد– إلى أكثر من مجرد تطويق للعقليات العنيفة الموجودة حاليا، فـ(عوامل التكوين) التي تسببت في هذه الظاهرة.. أقوى من صرامة العقوبة.

أنمار مطاوع

عكاظ، ٢٠٠٣/٩/١٥

* * *

مكافحة الفساد قبل انهيار الدولة

ذكر المفكر العربي العظيم (ابن خلدون) في (المقدمة) أن انتشار الفساد المصحوب بالإسراف والتبذير واتباع الشهوات والبطانة السيئة، لهي من الأمور التي تسبب تقوض الدول وانقراضها. الفساد داء يأتي متلبساً في صور كثيرة، مالياً أو إدارياً أو حتى خلقياً ونفسياً، وينخر في جسد المجتمع مثل السرطان إلى أن يضعف المجتمع ثم يفقد مناعته تدريجياً ثم يتهاوى ويتدهور ويفقد كل مقومات استمرارية الحياة المنتجة الشريفة. المشوار طويل نعم، ولكن أن نبدأ هو خير من أن ننتظر حدوث معجزة أو وقوع الكارثة.

عبد الله بخاري

عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٧

* * *

حقيقة تغيير المنهج الدراسي

من غير اللائق أن تمر السنون دون أن تتغير المناهج الدراسية. وخلال الأعوام الأخيرة شهدت الكتب الدراسية بعض التغيير. لكن تغييراً جوهرياً لم يحصل. إن القول بأن التغيير في المنهج الدراسي هو مجرد تنازل سياسي للآخرين، هو في حقيقته غمط لحقيقة زمنية، كان فيها المجتمع السعودي يجادل ذاته طوال عقود حول تراكم المعلومات الجامدة، أو النصوص غير الواضحة لأطفال في سن الزهور. لا يضير إن واكب التصحيح ظرفاً سياسياً حساساً.

سليمان العقيلي

الوطن ٢٠٠٣/٩/١٣

* * *

في ذكرى ١١ سبتمبر: نحن أساس البلاء!

لا بد أن نتذكر نحن في السعودية أن ١٥ من بين ١٩ الذين نفذوا الجريمة النكراء في أمريكا سعوديون ولا بد أن نتذكر أن بيننا من صفق فرحا لما حدث، ولا بد أن نتذكر أن هؤلاء الفرحين والمشيدين كانوا يتحدثون بكثير من الفخر والاعتزاز في المجالس، والمدارس، والمساجد، فضلا عن ساحات الإنترنت، وبعض الفضائيات. في ذكرى ١١ سبتمبر لا بد أن نلوم أنفسنا ونواجه بجرأة وصراحة وعقلانية هذا الفكر المتطرف المولد للإرهاب. ثم لا بد أن نتعلم فلا نكرر الأخطاء، ولا نتفرج على الأمراض حتى تصبح عصية على العلاج!

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٣/٩/١١

* * *

لا فائض منتظر في الميزانية ولا هم يحزنون!

تشير التقارير التي أصدرها مركز دراسات الطاقة العالمي في لندن إلى أن دخل المملكة من البترول سيصل إلى ٧٥ بليون دولار، وهذا الرقم يزيد بمقدار ٣٠ بليون دولار عن رقم الإيرادات المقدر لعام ٢٠٠٣، ولكن هذا الرقم لا يعني أن إيرادات ميزانية ٢٠٠٣–٢٠٠٤ ستكون في حدود هذا الرقم، ولن نعرف المبلغ المخصص للإيرادات في الميزانية (والفائض أو العجز) إلا بعد ظهورها، كذلك لن نعرف المبالغ التي ستخصص لسداد الدين العام الذي يقدر بحوالي ٧٠٠ بليون ريال وهو ما يساوي الناتج المحلي العام لعام ٢٠٠٢، التي بدأت الدولة بتسديدها، هذا عدا الديون المستحقة للمزارعين، وأيضاً المبالغ التي لم تصرف بعد عن تعويضات نزع الملكية وكذلك العديد من مستحقات المقاولين والمتعهدين، وهناك مبالغ مستحقة للعديد من موظفي الدولة منذ سنين كالبدلات ومكافآت التدريب. لهذا فإن علينا أن نتوقع ألا يكون هناك أي فائض في ميزانية العام القادم.

عابد خزندار

عكاظ ٢٠٠٣/٩/٢٠

* * *

يا بنت

في غرفة انتظار النساء في المستشفى اكتشفت أن جميع السيدات اللواتي يشتركن معي في الغرفة اسمهن (بنت) مهما كبر سنها أو حجمها ، لأن رجلها من خارج الغرفة يناديها يا (بنت) تجنبا لإذاعة اسمها على الملأ مما قد يجلب له العار أو الشعور بالحرج. سيدة تستجيب لنداء يا (بنت) وكأنه اسمها دون أن تشعر بأن حقها الاجتماعي والإنساني قد مس. إن مفردة (حقوق المرأة) التي بدأت تظهر اليوم في شمس الخطابات الرسمية، بعد أن كانت مفردة تلاحق مستخدمها بسوء النية والهدف، ليست ضمن ثقافتنا السعودية الاجتماعية لاسيما الثقافة الشعبية التي تعتمر دائما عبارات لا تثق بامرأة ولا تأمن سرك لديها ولا تسمع شورها ، كل هذه التحذيرات تمنع المرأة من أن تكون صديقاً في الحياة يحظى بالثقة وسداد الرأي ، لهذا فإن التنظيمات الرسمية مهما تقدمت هي حبر على الورق ، لن تنفع ، إن لم تفلح في جر مضامين الثقافة المعتمة التي لا تزال ترى أن إذاعة اسم امرأة في مستشفى ينشغل الناس فيه بأوجاعهم مجلبة للخجل والإحراج.

بدرية البشر

الرياض، ٢٠٠٣/٩/٣٠

* * *

السعودية المشبوهة

في الثلاثين من سبتمبر الماضي بدأ موظفو الامن الداخلي في الولايات المتحدة سياسة جديدة في مسعى للبحث عن إرهابيين مندسين في صفوف المسافرين الى الولايات المتحدة. هذه السياسة تقضي بتشديد إجراءات استصدار تأشيرة السفر الى الولايات المتحدة. وبمقتضى ذلك فإن موظفي الجهاز الجديد سيقومون بمراقبة موظفي وزارة الخارجية المضطلعين بإستصدار تأشيرات السفر.

وبناء على تصريح لمتحدث بإسم الأمن الداخلي جوردون جوهندور فإن (الموظفين القنصليين الذين يعملون في وزارة الخارجية سيواصلون عملهم في اصدار تأشيرات السفر، ولكن ستخضع الطلبات للمراجعة من قبل الأمن الداخلي للمساعدة في ملاحقة الارهابيين وآخرين لا يجب استصدار تأشيرة سفر لهم).

وفيما ينعقد العزم على إبقاء الاشخاص غير المرغوبين خارج البلاد، فإن ذلك ليس التدريب الرئيسي للضباط القنصليين كما هو الحال بالنسبة لوكلاء الأمن الداخلي. وحسب ستيورت بات المتحدث بإسم هيئة الشؤون القنصلية التابع للخارجية الأميركية فإن هناك قلة من الضباط التابعين للأمن الداخلي الذين تم إرسالهم الى السعودية.

وعلى حد قوله فإن السعودية هي (المكان الأول الذي توجه له هؤلاء، ولكن سيشمل ـ هذا الإجراء ـ كل بلدان العالم، بغرض تعزيز إجراءات إستصدار تأشيرات السفر..).

في مقابلة صحيفة (الوطن) السعودية مع السفير الأميركي في الرياض ما يشير الى التعقيدات المفروضة على سفر السعوديين للولايات المتحدة. فالسفير أشار في اجابته عن سؤال حول القيود المفروضة على سفر السعوديين الى أن ثمة اجراءات ضرورية تتبعها السفارة للحيلولة دون إعطاء فرصة لإرهابيين سعوديين من النفوذ الى الولايات المتحدة.

هكذا إذن تبدو السعودية الآن ليس بالنسبة للأميركيين، بل لكل العالم تقريباً..مركز يتناسل منه الارهابيون، الذين يتسللون الى دول العالم لتنفيذ مخططات إرهابية، ولم يعد هذا العالم يفرّق بين أحد من سكان هذا البلد، فحتى الفنان السعودي محمد عبده قد طالته شبهة الارهاب، حيث تم إيقافه في مطار هيثرو بالعاصمة البريطانية ساعة ونصف والتحقيق معه من قبل أجهزة الأمن التابعة للمطار.

السعوديون العائدون من السفر في إجازات الصيف ينقلون قصصاً مدهشة عن معاناتهم في المطارات الأوروبية، وكيف أصبح (الأخضر) لوناً مخيفاً في أغلب دول القارة الأوروبية، فهناك من يواري أخضره لسوء ما بشر به، وهناك من يدسّه في سترته حتى لا تفتضح هويته، فالشبهة تلاحق الجميع ولا توفر حظاً لأحد، صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً ام أنثى. فقد يسأل المرء عن قرينه (الأخضر) عدة مرات في أكثر من مطار وقد يرد خائباً في سفارات عديدة لأن حامله غير مرغوب فيه، فمواطنو خادم الحرمين الشريفين أصبحوا بعد عز أذلاء خارج بلادهم، يفرزون كما تفرز الدجاجة الحب الجيد عن الحب الرديء.

وتكون المصيبة أشد وأنكى حين يجتمع أكثر من حامل لهذا الأخضر في رحلة سفر واحدة، فتكون الشبهة أكبر وأشد وطئاً، حيث يبدأ الشك (يلعب في عب) أجهزة الأمن الأجنبية، إذ حينها تجدد حوادث سبتمبر بعث مخاوف من وجود خلية إرهابية تخطط لأعمال عنف كارثية..ويخشى أن يأتي يوم على السعوديين يطلب فيه منهم التفريق بين المضاجع حتى لا يتهموا بالانتماء لخلايا إرهابية، لأن المطلوب هو البقاء فرادى حتى يبقوا مجرد مشبوهين مع غياب الدليل، ولكن حين يجتمع أكثر من واحد يصبح الاجتماع سيد الأدلة، وتتولى بعد ذلك الصحافة المحلية والاجنبية كيما تنشر صور الخلايا الارهابية الحقيقية والافتراضية. ولذلك كل تجمع يضم إثنين أو أكثر من حملة الأخضر هو خلية إرهابية بالقوة، وقد تكون بالفعل حين تثبت الأدلة الأخرى ذلك.

إنحسار ربيع الأخضر قد ترك حسرة في قلوب من كانوا يحملونه في فترات ماضية، حيث كانت أبواب السفارات مشرعة أمامهم، والكل كان يكسب ودهم ونقودهم، حتى كادت بعض الدول تخصص مسارات خاصة بشعب الأخضر، من أجل تسهيل اجراءات سفرهم ودخولهم الى بلدانها..ولكن تلك الأيام نداولها بين الناس. فقد أصبح الخضراوي المرشح الارهابي الأول، ملاحقاً أينما حل وارتحل..وكأن الدول التي سهّلت عبوره وإقامته نادمة على خديعة انطلت عليها حين فرشت له في ماضي الأيام السجادة الحمراء كي يكون الضيف المحمّل بالنقود التي تفوح منها رائحة النفط، فإذا هذه النقود قد تحوّلت الى رصاص ومتفجرات.

فلم تكن الولايات المتحدة أول من قررت أن تجعل من السعودية أول من تبدأ بها إجراءات السفر المشددة، فقد طلبت قبلها سنغافورة تدابير أشد قسوة حين طبقّت على المتقدمين السعوديين نظام الكفالة، وكأن السعوديين متهمون ابتداءً ولابد من كفيل يزكيّهم ويضمن التزام المكفول بقوانين البلد التي ينوي السفر اليها، وهناك دول أخرى قد بدأت تدابير مماثلة ولكن دون الاعلان عنها.. ينقل أحدهم قصة مثيرة بعد مقابلة ساخنة أجريت معه في السفارة البريطانية بالرياض، فبعد أن أنهى موظف السفارة قائمة الاسئلة الروتينية وحصل على كافة الاجابات من المتقدم بطلب التأشيرة، فاجأه الموظف قائلاً بأنه ليس لدينا ما يثبت عدم صحة اجاباتك ولكن مع ذلك نعتقد بأنك تكذب ولدينا شك في أقوالك ولذلك رفض طلبك، ولم يرجع له قيمة التأشيرة وهي حالة تكررت مع كثير من السعوديين المتكدّسين على أبواب السفارة البريطانية.

حتى الطيارين السعوديين لم يعد مرغوباً فيهم، فأربعون طياراً تم رفض دخولهم الى الولايات المتحدة في الشهر الماضي، لا لأن جهاز الأمن الوطني الأميركي قد قبض عليهم متلبسين بالجرم المشهود أو أنهم أعضاء في شبكة تنظيم القاعدة، ولكن لأنهم ينتمون الى بلد الخمسة عشر خاطفاً سعودياً..فليس هناك من هو مستثنى من شبهة الارهاب.



الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات

كيف يحقق إنقسام السكان وحدة السلطة السعودية

في تقريرها الصادر هذا العام (2002) كتبت شركة بي إف سي (Petroleum Financing Company) بأن ليس هناك ما يمكن وصفه بـ (مجتمع سعودي) وانما الصحيح قوله هو مجتمعات متعددة. ويرى التقرير بأن الانقسامات الداخلية على قاعدة مذهبية (سنة وشيعة) او مناطقية (نجد وحجاز وربما بدو وحضر) أو قبلية تحقق ضمانات أكيدة حيال أي ثورة وطنية، وأن أسوأ التحديات التي تواجه السلطة حسب التقرير ستكون في الغالب ذات طابع محلي أي مناطقي.

ينبّه التقرير الى قضية على درجة كبيرة من التعقيد وهي ان انتظام المناطق والجماعات في وحدة سياسية موحدة هي المملكة العربية السعودية لم ينتج عن انصهار جماعي اختياري بل نشأ على أساس استتباع قهري والحاق قسري لهذه المناطق والجماعات.

وحتى قيام الدولة على أساس غلبوي في بدايات تكوينها لا يدحض الحاجة لاحقاً الى اعادة صهر ودمج في بنية الدولة الجديدة، تطوي مرحلة القهر والاستتباع وتوفر قناعات جديدة للملحقين الجدد بجدوى الانتماء لهذه الدولة.

تركي الحمد:

السعودية معتقلة وتواجه أزمة وجود

مقالة الكاتب والمفكر السعودي الدكتور تركي الحمد في الشرق الاوسط في الثالث من ديسمبر الجاري تضمنت جزئياً على الأقل لغة تبريرية لما اعتبر خروجاً غير مألوف عن النسق المعتاد لأحاديث الامير نايف ضد الأخوان بما يعزز ما ذهب اليه الكاتب حين أراد تحميل الاخوان الازمة التي تعيشها المملكة هذه الايام و(أنها مسؤولة عن عنق الزجاجة الذي تجد السعودية نفسها فيه الآن) وهي أزمة (تفوق في شدتها أكثر الأزمات السابقة التي مرت بها البلاد) حسب الدكتور الحمد. فعبارات كهذه تميل الى تعضيد موقف الامير نايف من جماعة الاخوان.

ولكن ما يقف خلف هذا الموقف هو الأهم. فالدكتور الحمد يستعرض صورة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة السعودية، فالوضع الاقتصادي يبدو ضعيفاً والاداء السياسي والاداري يعاني من بطء في الحركة والمرونة (ومن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت السعودية محط أنظار العالم في كل تفصيل من تفاصيل حياتها).

معوقات الديمقراطية في المملكة العربية السعودية

الحجاز في أول الكلام

قد يؤكد عنوان المجلة انطباعات متضاربة تبعاً للانشدادات الفكرية والسياسية والانتماءات الايديولوجية المتباينة للقراء الكرام. ولعل من ابرز الانطباعات المتوقعة هو ما يستند فيها على النظر الى المجلة من زاوية التمثيل المناطقي بايحاءاته الانقسامية. وهذه النظرة غالباً ما تتعزز في ظل دول تحتضن جماعات متعددة من حيث انتماءاتها الجغرافية واصولها الاجتماعية وموروثها التاريخي والثقافي، وقد تتسع النظرة الى حد اعتبار المجلة كصوت ناشز في الدائرة الوطنية. هذه الهواجس مهما بلغ حجمها لا يمكن تبديدها غالباً بادعاءات سبقية أو مزاعم نظرية قبل خوض امتحان التجربة.

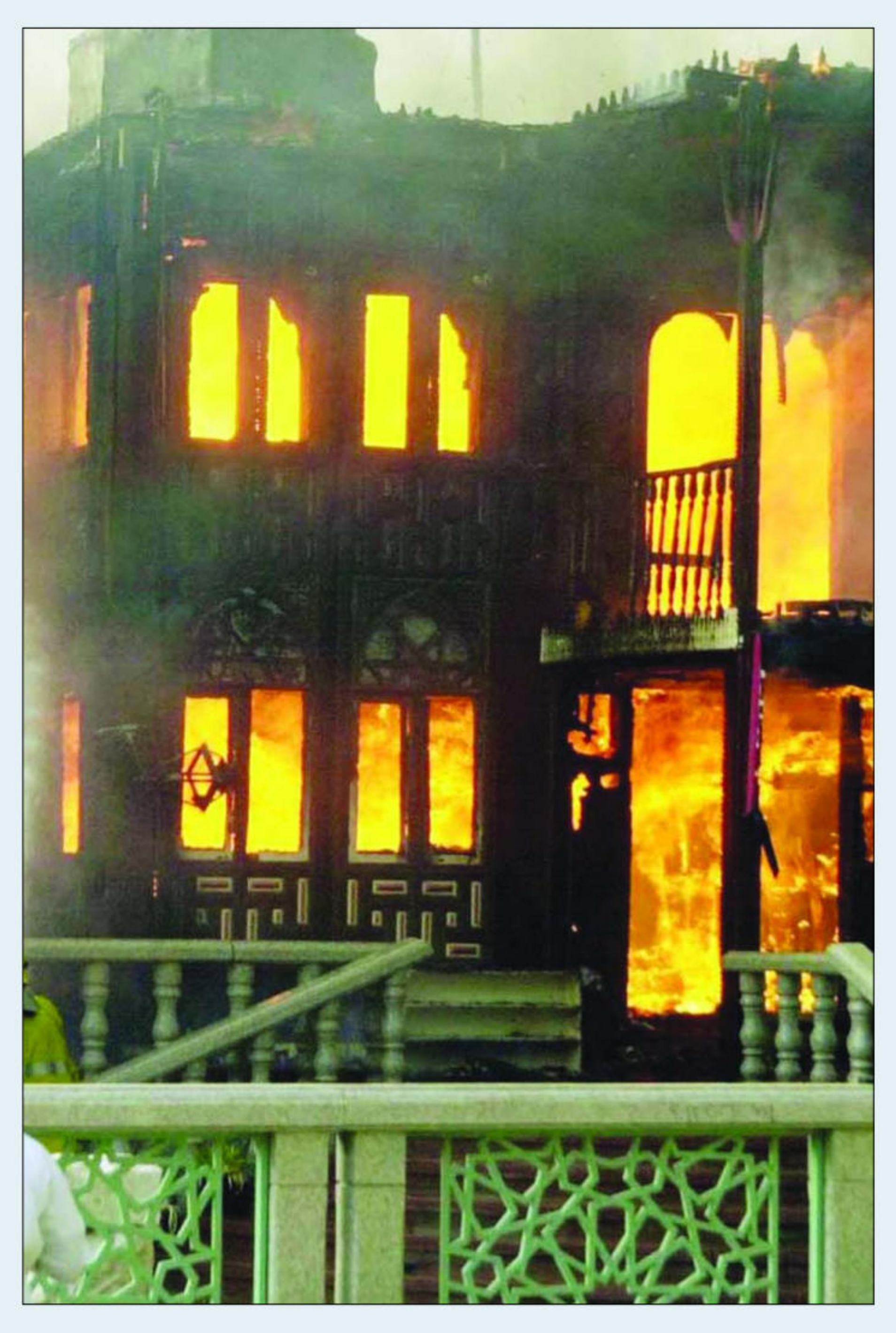
متشددون يهدمون قبر ومدرسة السيد علي العريضي العلوي

جرافات ومعدات هدم عديدة قامت صباح يوم الأثنين الموافق 2002/8/12م بالتجهيز لهدم مسجد السيد علي العريضي (766-825م). وكانت اتصالات قد جرت بكبار المسئولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية لمحاولة إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، ولكن بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض. وكان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزا إسلاميا مهما لتدريس الدروس الدينية وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية.

حلم لازال يراود البعض:

الحجاز على الانترنت http://www.alhijazi.org

للمراسلة: editor@alhijazi.org



متحف الحجاز الأهلي في جدّة: من كان وراء حرقه وتدميره، وماذا يستهدف؟!